علي الشيخ منصور المرهون القطيفي

قصص آيات القرآن

كتاب قصصي - ديني - تاريخي



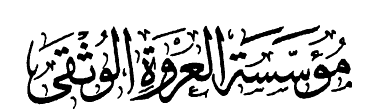
مؤسسة العروة الوثقى



قصص آيات القرآن

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ _ ٢٠١٠م



الرويس -المعمورة ، شارع خديجة همدر

هاتف :٠١/٥٤٠٩٥٢ ٠١/٤٦٧٠٩١ - ٠٣/٦٠٦٨٢٩

E-mail:ourwa.woska@hotmail.com

قصص آيات القرآن

كتاب قصصي ـ ديني ـ تاريخي

لمؤلفه
علي الشيخ منصور المرهون القطيفي




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾. من قصص القرآن المجيد ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ أولى لك من سرد قصص إن هي لم تضر لم تنفع من كتاب مثل ألف ليلة وليلة، وعنتر، وأمثالهما، مما ولدته الخياليات المنغمسة في بحور الخلاعة.

فهذا هو بين يديك: نقدمه إليك بغير عناء ولا مشقة ولا تعب عليك، نحاول به سد فراغ طالما كان شاغراً منذ زمن بعيد بصورة خاصة، وإن كان مشغولاً به بصورة عامة، ولكن مبتغية يحتاج إلى عناء كبير من جميع كتب قد لا يكون في وسعه جمعها، فهو بالنظر إلى هذا واقع في محله حيث أنه مقصود به النفع العام.

ولم تكن هذه الفكرة وليدة وقت يسير، بل كانت تعاود مفكرتي طيلة سنين، وقد وددت أن يقوم بها أحد فرسان هذا الميدان ممن لهم اليد الطولى في التأليف والجمع فلم أعثر على ذلك، وكم كان سروري حين رأيتها في مكة المكرمة خارجة من مصر بتلك الحالة القشيبة فيما يزيد على أربعمائة صفحة فابتعتها بما قال بائعها، غير أني فحصتها وجدتها

فكرة خيالية مستمدة من عناوين القصص القرآنية لا أقل ولا أكثر، وليسمح لي المؤلف أن أقول أن كتابه إسم على غير مسمى.

وما زال الضمير متعلقاً بتحقيق هذه الأمنية حتى اطمأنت بي الدار في النجف الأشرف وهيأ الله سبحانه وتعالى أسباب المساعدة على إظهارها إلى الوجود وصحت العزيمة على التأليف والجمع، فبادرت لذلك مثابراً مهما أمكنت الفرصة من ساعات الليل والنهار فتم ذلك بعون الله وحسن توفيقه في مدة شهرين كاملين.

ومن الإنصاف أن لا أنسى تلك المساعدة التامة التي قام بها الأخ الكريم الشيخ محمد كاظم الكتبي ازاء هذا الموضوع فما هو إلاَّ أن أنجز من تحت القلم حتى سيره في طريقه إلى المطبعة حرصاً على انجازه وعموم نفعه واجتناء ثمراته فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

٥/٦/٧٥

المؤلف

ـــ ١ ـــ

قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ والسببب في قتل الأبناء إن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا إنه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها فضاقت به أُمه ذرعاً فاوحى الله تعالى إليها﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ففعلت به ذلك فتألم ضميرها شديداً ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ فارشدتهم على أُمه فكانت النهاية كما قال تعالى ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.

ـــ ٢ ـــ

غرق فرعون وقومه في البحر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وجملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل فسرى من مصر ليلاً فاتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الأناث وكان يمشي في ستمائة ألف وعشرين ألفاً فلما عاينهم فرعون قال إن هؤلاء لشرذمة قليلون وأنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا ومن معه فقال موسى: عسى ربكم يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون، فقال له يوشع بن نون بم امرت؟ قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى أوحى إلى البحر أن اطع موسى إذا ضربك قال فبات البحر له أفكل أي رعده لا يدري في أي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر إثنا عشر طريقاً فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا إنا لا نسلك طريقاً نديا فارسل الله ريح صبا حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا فجروا فيه فلما أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض

ما لنا لا نرى أصحابنا؟ فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: في طريق مثل طريقكم. فقالوا: لا نرضى حتى نراهم فقال: اللهم أعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله تعالى إليه أن مل بعصاك هكذا وهكذا يميناً وشمالاً فاشار بعصاه يميناً وشمالاً فظهر كالكوي ينظر منها بعضهم إلى بعض، فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق واقتحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجى موسى ومن معه.

ـــ ٣ ـــ

العجل والسامري

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

روي عن ابن عباس قال: كان السامري رجلاً من أهل باجري قيل اسمه ميخا، وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر كان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان أظهر الإسلام في بني إسرائيل فلما قصد موسى إلى ربه وخلف هارون في بني إسرائيل قال هارون قد حملتم أوزاراً من زينة القوم يعني آل فرعون فتظهروا منها فإنها نجس يعني أنهم استعاروا من القبط حلياً واستبدوا بها فقال هارون طهروا أنفسكم منها فإنها نجسة واوقد لهم ناراً فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة والحلي فيقذفون به فيها، قال: وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل فأخذ تراباً من أثر حافره ثم أقبل إلى النار فقال لهارون يا نبي الله أألقي ما في يدي؟ قال: نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن أنه مما يجيء به غيره من الحلي والأمتعة فقذف فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً، قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة، وقيل أنت القبضة من أثر الملك كان الله قد اجرى العادة إذا طرحت على أي

صورة كانت حييت فليس ذلك بمعجزة إذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حياً تأول الخوار على أن السامري صاغ عجلاً وجعل فيه خروقاً يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار يدعوهم إلى عبادته فاجابوه وعبدوه.

ـــ ٤ ـــ

بقرة بني إسرائيل

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

كان السبب في أمر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعاً إلى الرضا عليه السلام إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من الأسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط لفلان قتل فاخبرنا من قتله قال ائتوني ببقرة قالوا أتتخذنا هزواً الآية ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال: إنه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك أي لا صغيرة ولا كبيرة إلى قوله ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ فطلبوها فوجدوها عند فتىً من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلا بملىء مسكها ذهباً فجاؤا إلى موسى فقالوا له، قال فاشتروها.

قال: وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله بعض أصحابه أن هذه البقرة ما شأنها؟ فقال إن فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وأنه اشترى سلعة فجاء إلى أبيه فوجده نائماً والأقليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك واستيقظ أبوه فأخبره فقال له أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوض لما فاتك، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انظروا إلى البر ما بلغ بأهله.

وقال ابن عباس: كان القتيل شيخاً مثرياً قتله بنو أخيه والقوه على باب بعض الأسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا إلى موسى فسئل من عنده عنهم فقالوا أنت نبي الله وأنت أعلم منا فاوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة فأمرهم موسى أن يذبحوا بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله، وقيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه، وقيل إنما قتله ليتزوج ابنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني إسرائيل فانعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله إلى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله فقال لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً فعظم ذلك على موسى، وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام.

وعن ابن عباس: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ولد طفل وكان له عجلة فأتى إلى غيضة وقال اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل وشبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل من رامها فلما كبر الصبي كان باراً بوالدته وكان يقيم الليل أثلاثاً للنوم والصلاة ولخدمة أمه فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أُمه ثلثه فقالت له أُمه يوماً إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها فانطلق إليها وادع بإله إبراهيم واسحاق ويعقوب أن يردها عليك وإن من علامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفائها فأتى إلى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بإله إيراهيم وإسحاق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت يا أيها الفتى البار بوالدته اركبني ليكون أهون

عليك فقال الفتى إن أُمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها قالت البقرة بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما قدرت علي أبداً فسر لو امرت الجبل أن ينقلع لفعل لبرك بوالدتك فصار بها إلى أُمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الإحتطاب بالنهار والسهر بالليل فانطلق وبع هذه البقرة وانتفع بثمنها فقال لها بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير على رضا مني ومشورتي وكان ثمن البقرة ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق الفتى بها إلى السوق فقال له رجل بكم تبيع هذه البقرة يا فتى قال: بثلاثة دنانير على مشورة من أمي فقال له الرجل خذ ستة دنانير ولا تستأمر أُمك فقال الفتى لو اعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أُمي فردها إلى أُمه وأخبرها بالثمن فقالت له إذهب فبعها بستة دنانير على مشورة مني فردها إلى السوق فقال له الرجل استأمرت أُمك قال نعم إنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة دنانير على أن استأمرها قال فإني أعطيك إثني عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أُمه فاخبرها فقالت له يوشك أن يكون هذا ملك من الملائكة فإذا أتاك فقل له تقول لك أُمي أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال له إذهب إلى أُمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملىء جلدها دنانير فامسكوا هذه البقرة، فلما قتل ذلك القتيل قدر اللهتعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة فطلبوها فوجدوها عند الفتى فاشتروها بملىء جلدها ذهباً .

ـ ٥ ـ

أول من نزل المدينة قبل الهجرة

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج رسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله تعالى من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكره لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى العياشي باسناده رفعه إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجرة محمد رسول الله ﷺ ما بين عير واحد ـ وهما جبلان حول المدينة المنورة ـ فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالو' حداد واحد سواء؛ فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذي بتيماء إلى بعض اخوانهم فمر بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم أمر بكم ما بين عير واحد فقالوا له إذا مررت بهما فآدنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال ذلك عير وهذا أحد

فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا قد اصبنا بفيئنا فلا حاجة بنا إلى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا إلى اخوانهم الذين بفدك وخيبر إنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا فكتبوا إليهم إنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الأموال وما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم واتخذوا بأرض المدينة أموالاً فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبعاً فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم فقالوا له ليس ذلك لك إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحدٍ حتى يكون ذلك. فقال لهم: فإني مخالف فيكم من اسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الأوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله محمداً ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى آخر الآية.

ـــ ٦ ـــ

قصة هاروت وماروت

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ الآية .

بناء على أن هاروت وماروت من جملة الملائكة كان السبب في هبوطهما أن الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقالت طائفة منهم يا ربنا أما تغضب مما يعمل خلقك في أرضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبون من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله سبحانه أن يعرفهم ما منَّ به عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما إلى الأرض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من أشد الملائكة قولاً في العيب ولولد آدم واستجرار عتب الله عليهم قال فاوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم وانظرا أن لا تشركا بي شيئاً ، ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها

ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما إلى الأرض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا امرأة جميلة حسناء أقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعاً عظيماً شديداً ثم أنهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا إليها فراوداها عن نفسها فقالت إن لي ديناً أدين به ولست أقدر في ديني أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أجيبه إلى كل ما سألني قالا وما إلهك قالت هذا الصنم قال فأتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت قالت فدونكما شرب الخمر فإنه قربان لكما عنده وبه تصلان إلى ما تريدان قالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشرب الخمر فأتمرا بينهما ثم قالا لها ما أعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رآياه فزعا منه فقال لهما إنكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأة الحسناء إنكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتيكما وإنّما مطمئنان آمنان قال فقاما إلى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سوأتهما ونزع عنهما رياشهما وسقط في أيديهما فأوحى الله تعالى إليهما إني أهبطتكما إلى الأرض ساعة من نهار فعصيتماني بأربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا مني وقد كنتما أشد من ينقم على أهل الأرض من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بأرض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة (نستجير بالله من عذابه).

— ٧ —

زيارة إبراهيم لولده إسماعيل

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾.

ابن عباس قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لأمرأته أين صاحبك؟ قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لها هل جاءك أحد قالت جاءني رجل صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أُخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لأمرأته أين صاحبك؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك

الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكان أكثر بلاد الله براً وشعيراً وتمراً فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدميه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدمه الأيسر عليه فقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها إسماعيل ذاك أبي إبراهيم وأكب على المقام يبكي ويقبله (وروى) عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لأضاءا ما بين المشرق والمغرب.

ـــ ٨ ـــ

قصة مهاجرة إسماعيل وهاجر

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

روي علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق عليه السلام قال إن إبراهيم كان نازلاً في بادية الشام فلما ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غماً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذي إبراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك إبراهيم إلى الله عزَّ وجلَّ فاوحى الله إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته استقامت به وإن رمت أن تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... إلا أن تقويم الضلوع انكسارها

ثم أمره أن يخرج اسماعيل وأُمه عنها فقال أي رب إلى أي مكان قال إلى حرمي وامني وأول بقعة خلقتها من أرضى وهي مكة وأنزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم فكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلاَّ قال يا جبرئيل إلى هاهنا فيقول جبرئيل لا أمض لا أمض حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان إبراهيم عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت

تحته فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الإنصراف عنهم إلى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع فقال لها إبراهيم ربي الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بذي طوى التفت إليهم وقال ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع المسعى فنادت هل في الوادي من أنيس فغاب عنها إسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها إسماعيل ثم لمع السراب من ناحية الصفا وهبطت إلى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت إلى إسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فقعدت حتى جمعت حوله رملاً وأنه كان سائلاً فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم ما شأنك ومن أنت وما شأن هذا الصبي؟ قالت أنا أُم ولد إبراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه أمره الله تعالى أن ينزلنا هاهنا فقالوا لها أتأذنين أن نكون بالقرب منكم فقالت حتى اسأل إبراهيم قال فزارهما إبراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله إن هاهنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أفتأذن لهم في ذلك فقال إبراهيم نعم فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب

منهم وضربوا خيامهم وأنست هاجر وإسماعيل بهم فلما زارهم إبراهيم في المرة الثانية ونظروا إلى كثرة الناس حولهم سر سروراً شديداً فلما تحرك إسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاه وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها.

«فلما» بلغ الرجال أمر الله تعالى إبراهيم أن يبني البيت فقال يا رب في أي بقعة قال في البقعة التي أنزلت فيها على آدم القبة فأضاءت الحرم قال: ولم تزل القبة التي أنزلها الله على آدم قائمة حتى كان أيام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لأنه اعتق من الغرق فلما أمر الله تعالى إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أي مكان يبنيه فبعث الله جبرئيل فخط له موضع البيت وأنزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما مسّته أيدي الكفار اسوّد، قال فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثم دلَّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابٌ إلى المشرق وبابٌ إلى المغرب فالباب الذي إلى المغرب يسمى المستجار ثم القى عليه الشيخ والأدخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج إبراهيم وإسماعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجة فقال يا إبراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم أخرجه إلى منى فبات بها وفعل به ما فعل بآدم فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت قال ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾

ــ ٩ ــ

لا يدفع القدر الحذر

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ قيل أن إسم القرية التي خرجوا منها هرباً من وبائها داوردان قُبلُ واسط قال الكلبي والضحاك ومقاتل أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا إن الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في نفسهم حتى يعلموا إنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعاً وأمات دوابهم وأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخت أجسادهم وباتت رائحتهم كريهة جداً. فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا وأتى على ذلك مدة حتى بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجباً منهم فاوحى الله إليه يا حزقيل تريد أن أريك آية وأُريك كيف أحيي الموتى قال نعم فاحياهم الله، وقيل أنهم كانوا قوم حزقيل فاحياهم الله

بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت وحيداً لا قوم لي فاوحى الله إليه قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل: احيوا بإذن الله فعاشوا، وسأل حمران بن أعين أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم فقال أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم أم ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام؟ قال: لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم.

ـــ ١٠ ـــ

داود وجالوت

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾

وكان من قصة داود على ما رواه علي بن إبراهيم بن هاشم عن الصادق عليه السلام: أن الله تعالى أوحى إلى نبيه أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشا وهو راع وكان لإيشا عشرة بنين أصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى ايشا بأن احضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فالبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لأيشا هل خلفت من ولدك أحداً قال نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث إليه فلما دعي أقبل ومعه مقلاع قال فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داوود خذني فأخذها في مخلاته وكان حجر الفيروزج وكان داود شديد البطش شجاعاً قوياً في بدنه فلما جاء إلى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه. قال: فجاء داود فوقف حذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة تلمع نوراً وجنوده بين يديه فأخذ داود حجراً من تلك الأحجار فرمى به في

ميمنة جالوت فوقع عليهم فانهزموا وأخذ حجراً آخر فرمى في ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث إلى جالوت فأصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتاً وقيل إن جالوت طلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر من مقلاعه فوقع بين عينيه وخرج من قفاه وأصاب جماعة كثيرة من أهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم.

ــ ١١ ــ

وفد نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾.

نزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين في وفد نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الابهم وأبو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال حرث ابن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فصلوا إلى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول

الله فقال لهما رسول الله: اسلمنا فقالا: أسلمنا قبلك. قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير. قالا: إن لم يكن ولداً لله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهما النبي: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا، قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى، قال: فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم؟ قالوا: نعم لا يعلم إلا ما علم، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى، قال الستم تعلمون أن عيسى حملته أُمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا بلى، قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله فيهم صدر سورة آل عرمان إلى بعض وثمانين آية.

ـــــ ١٢ ـــــ

حفر خندق المدينة

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

قيل لما فتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أُمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من أين لمحمد ملك فارس والرسول ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الآية. عن ابن عباس وأنس بن مالك وقيل أن النبي ﷺ خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي ﷺ سلمان منا أهل البيت، قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن يعدل عنها فإن العدل قريب وإما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب أن

نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتك منا قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها بريق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون: وأخذ بيده سلمان ورقى فقال سلمان: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله إلى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أن أُمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبقرب الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور حمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أُمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أُمتي ظاهرة عليها فابشروا، واستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون ينبيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه

يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الغرق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ وأنزل الله تعالى في هذه القصة ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ الآية.

ـــ ١٣ ـــ

وفد نجران والمباهلة

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله ﷺ هل رأيت ولداً من غير ذكر فنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ فقرأها عليهم.

عن ابن عباس وقتاده والحسن: فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة واستنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء، فلما كان الغد جاء النبي ﷺ أخذاً بيده علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه وهذان إبنا ابنته من علي وهذه الجارية ابنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله

فجثا على ركبتيه، قال أبو حارثة: الأسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فكع ولم يقدم على المباهلة، فقال له السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة فقال: لا إني لأرى رجل جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً ولأن كان صادقاً لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا.

وروي: أن الأسقف قال لهم إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة وقال النبيﷺ والذي نفسي بيده لولا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليه الوادي ناراً ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي واهدى العاقب له حلة وعصاً وقدحاً ونعلين وأسلما.

ــــ ١٤ ــــ غزوة أحد

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: كان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأُسر سبعون قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نسائكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع أصحابه وحثهم على الجهاد فقال عبد الله بن أبي سلول يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى تقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك والسطوح فما أرادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا وما خرجنا إلى عدو لنا قط إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاد وغيره من الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا، لا حتى تخرج إليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان قد جاهد

في سبيل الله، فقبل رسو ل الله رأيه وخرج مع نفر من أصحابه يتبؤون موضع القتال كما قال تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية وقعد عنه عبد الله بن أبي سلول وجماعة من الخوارج اتبعوا رأيه ووافت قريش إلى أحد وكان رسول الله ﷺ عبأ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير وأصحابه إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مئتي فارس كميناً وقال إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام وحمل الأنصار على قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووضع أصحاب رسول الله في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مئتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر أصحاب ابن جبير أصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم فقالوا له قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله تقدم إلينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه وأقبلوا ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في إثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبيدي من بني عبد الدار فقتله علي عليه السلام وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم إلى عبد اسود لهم يقال له صواب فانتهى إليه علي فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال هل اعتذرت في بني عبد الدار

فضربه على رأسه فقتله وسقط اللواء فأخذته عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعته وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من أدبارهم ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة وأقبلوا يصعدون في الجبال في كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال أنا رسول الله أنا رسول الله إلى أين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلا ومكحلة وقالت إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب(رض) يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبد الجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشي، أما محمد فلا أقدر عليه وأما علي فرأيته حذراً كثير الإلتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة فرأيته يهد الناس هداً فمر بي فوطىء على جرف نهر فسقط وأخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثبته فسقط فأتيته وشققت بطنه وأخذت كبده وأتيت بها إلى هند وقلت هذه كبد حمزة فأخذتها في فمها فلاكتها فجعلها الله في فمها مثلا الداغصة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها قال رسول الله ﷺ فبعث الله ملكاً فحمله ورده إلى موضعه قال: فجاءت إليه وقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وقطعت يده ورجله، ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وعلي عليه السلام وكلما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله إلى ناحية (أحد) فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي يقاتل

حتى أصابه في رأسه ووجهه ويده وبطنه ورجليه سبعون جراحة فقال جبرئيل إن هذه هي المواساة يا محمد، فقال ﷺ إنه مني وأنا منه فقال جبرئيل وأنا منكما، قال أبو عبد الله عليه السلام نظر رسول الله إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي) وكانت هذه الغزوة في النصف من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة ومن نتائجها المؤلمة قتل حمزة وكسر رباعية رسول الله وشج وجهه وكان المشركون مثَّلوا بقتلى المسلمون الذين لا يقلون عن سبعين واعظمهم مثله سيد الشهداء حمزة كما عرفت، ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

ومما أنزل الله تعالى في هذه الغزوة قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية أنه لما ارجف بأن النبي ﷺ قد قتل يوم أحد واشيع ذلك قال الناس لو كان نبياً لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وأرتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله ﷺ نهاهم عن الإخلال به وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وقال: لا تبرحوا مكانكم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم، وجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن الدفوف وينشدن الأشعار فقالت هند:

نحن بنا طارق ... نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق ... أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكان أبو عامر عبد عمرو بن الصيفي أول من لقيهم بالأحابيش وعبيد أهل مكة فقاتلهم قتالاً شديداً وحميت الحروب فقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني؟ فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري فلما أخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يفتخر تبختراً ويقول:

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقيم الدهر في الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله ﷺ إنما لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموضع ثم حمل النبي وأصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب اللواء كما تقدم بيانه وأنزل الله نصرته على المسلمين، قال الزبير رأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دونهن شيء فلما رأت الرمات إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي ﷺ وأصحابه ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا أمر رسول الله ﷺ وقال بعضهم ما بقي من الأمر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على أصحاب النبي من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر وكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه أصحابه وأقبل يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم أحد عن رسول الله ﷺ حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمئة فرجع وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ وقال إني قتلت محمداً وصاح صائح ألا إن محمداً قد قتل ويقال أن ذلك الصائح كان إبليس (لعنه الله) فانكفىء الناس وجعل

رسول الله ﷺ يدعو الناس ويقول إلي عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سيلة قوسه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ فردها رسول الله ﷺ مكانها فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله أدركه أبي خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه أحد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ ويقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذره اقتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما كان يوم أحد ودنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة فاستقبله وطعنه في عنقه فخدشه فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي اقتلك فلو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوماً حتى مات وفشا في الناس أن رسول الله قد قتل فولوا مدبرين بعد اختلاف كلمتهم سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كان المظهر الأتمّ الدفاع عن رسول الله وعن الدين حتى كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وقد مر ما يزيدك وثوقاً واطمئناناً.

ــ ١٥ ــ

غزوة بئر معونة

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

قيل؛ نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وقيل نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين، حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقر عليه السلام: وكثيرون من المفسرين أنها تتناول قتلى بدر وأُحد معاً، وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار بإسناده عن أنس بن مالك وغيره قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة واهدى له هدية فأبى رسول الله أن يقبلها وقال يا أبا البراء لا أقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال يا محمد إن أمرك لهذا الذي تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوتهم أن يستجيبوا لك فقال

رسول الله ﷺ إني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمير أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيره مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أُحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم: من منكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال حرام يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه على ما دعاهم إليه وقالوا لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقداً أو جواراً فاستصرخ عليهم قبائلاً من بني سليم عصبته ورعلا وذكوان فاجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق. وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير يحوم حول العسكر فقالوا والله إن لهذا الطير لشأناً فأقبلا لينظرا إليه فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ قال أرى أن تلحق برسول الله ﷺ فتخبره الخبر فقال الأنصاري لكني ما كنت لأرغب

بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم أنه من مصر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أبيه فقدم عمرو ابن أمية على رسول الله ﷺ واخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر إياه وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل:

بني أُم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد
ألا بلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ما جد حكم بن سعد

وقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كل وجه ... خفارة ما أجار أبو براء
بني أُم البنين أما سمعتم ... دعاء المستغيث مع النساء
وتنوبه الصريح بلى ولكن ... عرفتم أنه صدق اللقاء

فلما بلغ ربيعة بن أبي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر ابن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل أبي براء إن مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواه وإن أعش فسأرى فيه رأيي.

قال: فانزل الله سبحانه وتعالى في شهداء بئر معونة قرآناً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

ـــ ١٦ ـــ

غزوة حمراء الأسد

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾.

لما انصرف أبو سفيان واصحابه من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا، فقالوا لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد، تركتموهم فارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: ألا عصابة تسدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها إنكاء للعدو وأبعد للسمع فاندب عصابة منهم مع ما بهم والقراح والجراح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله ﷺ ألا لا تخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس وإنما خرج رسول الله ﷺ ليرهب العدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلاً حتى بلغ حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن رسول الله ﷺ قال: هل من

رجل يأتينا بخبر القوم فلم يجب أحد فقال أمير المؤمنين عليه السلام أنا آتيك بخبرهم قال: إذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فإنهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من الألم والجراح حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عزَّ وجل يأمرك أن تخرج ولا يخرج معك إلا من به جراحة فاقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداوونها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح حتى بلغوا حمراء الأسد. وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً قال شهدت أُحد أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فوالله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا ثقيل، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جرحاً من أخي فكنت إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ومعبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في قومك وأصحابك ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة إلى رسول الله وقالوا: قد أصبنا أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا

معبد قال: محمد في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع عليه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من الحنق عليكم ما لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول قال فأنا والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فأنا والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت أبياتاً من شعر، قال وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا خرق معازيل
فظلت عَدْواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
وقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغمطت البطحاء بالخيل
إني نذير لأهل السبل ضاحية ... لكل إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش تنابلة ... وليس يوصف ما أثبت بالقيل

فقال أين تريدون؟ فقالوا: نريد المدينة قال فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ غداً إذا وافيتمونا قالوا نعم فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا الكرة عليه وعلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومرّ الراكب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول أبي سفيان فقال رسول الله وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل وانصرف ﷺ إلى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن العاص وأبي فرة الجمحي وهذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان قال يوم أُحد حين أراد أن ينصرف: يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ﷺ ذلك

بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ثم ألقى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان إني واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وأن هذه عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضفها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم بئس الرأي رأيكم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله الخروج وقال ﷺ والذي نفسه بيده لأخرجن ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الظهران إلى مكة فسماهم أهل مكة جيش السويق ويقولون إنما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحداً من المشركين ببدر ووافوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين كما عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام.

ـــ ١٧ ـــ

التيمم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾.

قال المفسرون: لما عبر موسى وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بني إسرائيل فاخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك فوافى إثنان منهم يوشع بن نون من سبط بنيامين وقيل أنه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط بنيامين وقيل أنه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهودا وعصى العشرة وأخبروا بذلك، وقيل كتم خمسة منهم وأظهر الباقون وفشى الخبر في الناس فقالوا إنا إن دخلنا عليهم تكون نساؤنا وأهالينا لهم غنيمة وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع وكالب وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى فقال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فاوحى الله إليه أنهم يتيهون

في الأرض أربعين سنة وإن ما يخرج منهم من لم يعص الله تعالى في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخ، وقيل تسعة فراسخ، وقيل ستة فراسخ وقيل ستة وهم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات أكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا إلى حرب أريحا وفتحوها واختلفوا في من فتحها فقيل فتحها موسى بن يوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان قد توفي موسى وبعثه الله نبياً. روي أنهم كانوا في المحاربة إذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا أريحا، وقيل كانت وفاة موسى وهارون في التيه وتوفي هارون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وعشرين سنة وبقي بعد وفاة موسى مدبراً لأمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة.

— ١٨ —

قابيل وهابيل

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قالوا: إن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت أول بطن قابيل بن آدم وتوأمته اقليما بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوأمته لبوذا فلما ادركوا جيمعاً أمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل فرضي هابيل وأبى قابيل لأن اخته كانت احسنهما وقال ما أمر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً فرضيا بذلك ففدا هابيل وكان صاحب مائية فأخذ من خير غنمه زبداً ولبناً وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فأتت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائباً عنهما بمكة خرج إليها ليزور البيت بأمر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد أن تأخذ أُختي الحسناء وآخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى. فشدخه بحجر فقتله وكان سبب قبول قربان أحدهما دون الآخر أن قابيل لم يكن ذاكي القلب وقرب بشرِّ ماله وأبخسه وقرب هابيل بخير ماله وأشرفه وأضمر الرضا بحكم الله تعالى.

ومما حكاه تبارك وتعالى من قول هابيل لقابيل قوله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

روت العامة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصد السباع فحمله في جراب على ظهره حتى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر إليه فدفن أخاه.

وعن ابن عباس قال: لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجرة وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول:

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقال سالم بن الجعد: لما قتل هابيل مكث آدم سنة حزيناً لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله وبياك أي أضحكك قالوا: ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثاً وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف من هابيل وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مذعوراً لا يأمن من براه

وذهب إلى عدن من اليمن فأتاه إبليس فقال إنما أكلت النار قربان أخيك هابيل لأنه كان يعبدها فأنصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو أول من نصب النار وعبدها واتخذ أولاده آلات اللهو في اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في شرب الخمر واللهو وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله أيام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث.

ـــ ١٩ ـــ

زان وزانية من بني اسرائيل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ الآية.

قال الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين: إن امرأة من خيبر ذات شرف بينهم، زنت مع رجل من أشرافهم هما محصنان فكرهوا رجمهما فارسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما فقال صلى الله عليه وآله: وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي صلى الله عليه وآله هل تعرفون شاباً أمرداً أبيضاً أعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم قالوا أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى قال فارسلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبد الله ابن صوريا فقال له النبي صلى الله عليه وآله أُنشدك الله الذي لا إله إلاَّ هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل

عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال ابن صوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي ﷺ فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلاناً يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع حتى نصنع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميد وهو أن يجلد أربعين جلدة ويسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقال اليهود لإبن صوريا ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنت غائباً فكرهنا أن نغتابك فقال أنه أنشدني بالتوراة ولولا ذلك لما أخبرته به فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده وقال أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فانزل الله فيه ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه فاعرض النبي ﷺ عن ذلك ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي فقال صدقت وأخبرني عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه أُمه شيء أو بأُمه ليس فيه من شبه أبيه شيء فقال أيهما علا وسبق ماءه ماء صاحبه كان

الشبه له قال قد صدقت قال فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال فأغمي على رسول الله ﷺ طويلاً ثم خلى عنه محمراً وجهه يفيض عرقاً فقال اللحم والدم والظفر والشحم للمرأة والعظم والعصب والعروق الرجل قال له صدقت، أمرك أمر نبي فأسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من يأتيك من الملائكة قال جبرئيل قال صفه لي فوصفه النبي ﷺ فقال أشهد أنه في التوراة كما ذكرت وإنك رسول الله حقاً فلما أسلم ابن صوريا وقف فيه اليهود وشتموه فلما أرادوا أن ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا منا قتيلاً لم تعد واعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقاً من تمر وإن كان القتيل أمرأة قتلوا به الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد منهم الحر منا وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فأنزل الله في الرجم والقصاص الآيات.

٢٠ ـــ التصديق بالخاتم

(وأن علياً ولي الله)

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

عن الأعمش قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول: (عليُ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله) أما أني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأله سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي عليه السلام راكعاً فأومى بخنصره اليمنى إليه، وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله ﷺ فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم أن أخي موسى سألك فقال: (رب إشرح لي صدري ويسر لي أمر ي واحلل عقدة من

لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللّٰهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله تعالى يا محمد إقرأ قال وما أقرأ قال اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً	وما المدح في جنب الآله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً	زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وثبتها مثنى كتاب الشرائع

ـــ ٢١ ـــ

وفود النبي للحبشة

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

نزلت في النجاشي وأصحابه قال المفسرون: أئتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن عصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية وإنما النجاشي إسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج إليها سراً أحد عشر رجلاً واربع نسوة ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهت عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقته ليردوهم إليهم وكان عمارة بن الوليد شاباً حسن الوجه وأخرج عمرو بن العاص

أهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة وأخرج من الماء والقى الله بينهما العداوة في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ثم وردا عليه فقال عمرو بن العاص أيها الملك إن قوماً خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردهم إلينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه، فقال: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل أحرار قال: فسلهم ألهم علينا ديوناً يطالبوننا بها قال لا ما لنا عليكم ديون قال فلكم علينا دماء في أعناقنا تطالبونا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذيتمونا فخرجنامن دياركم ثم قال أيها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالازلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ قال هذا والله هو الحق فقال عمروا إنه مخالف لنا فرده إلينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله إن ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك وقال ارجعوا إلى هذا هديته وقال لجعفر وأصحابه امكثوا فإنكم سيوم «والسيوم الآمنون» وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ وعلا أمره وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله بجميع من كان معه فقال رسول الله ﷺ لا أدري أنا بفتح خيبر أسر أم بقدوم جعفر.

ـــ ٢٢ ـــ

المؤتمر المقصود به الخير

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

قال المفسرون: جلس رسول الله ﷺ يوماً فذكر النار ووصف القيامة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وفي طليعتهم أمير المؤمنين وسلمان وأبو ذر والمقداد وابن مسعود إلى غيرهم واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والشحم ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض وهم بعضهم أن يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أُمية وإسمها خولاء وكانت عطارة أحق ما بلغني عن زوجتك وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله إن كان عثمان أخبرك فقد صدقت فانصرف رسول الله ﷺ فدخل عثمان فأخبرته بذلك فأتى رسول الله هو وأصحابه فقال رسول الله ﷺ ألم أنبأ أنكم أتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله أني لم أؤمر بذلك ثم قال إن

لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأُفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا، أما أني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك الدنيا والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أُمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا وأُقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم تشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله تعالى الآية.

ـــ ٢٣ ـــ

المائدة

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (١١٥)﴾.

عن سلمان الفارسي(رض) قال: نزلت المائدة سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلةً وعقوبة واليهود ينظرون إليها، ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط، ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا هي سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ومن طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا اليوم من هذه الآية

آية أُخرى فقال عيسى يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء إذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن قال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الناقة والمزمنين والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولكم المهنا ولغيركم البلاء فاكل منها ألف وثلاثمائة رجلاً وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طالت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا ابرى ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون في ظلها وكانت تنزل غيا يوماً ويوما.

وفي تفسير أهل البيت ﷺ: كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترتفع فقال كبراؤهم وهم مترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير.

ـــ ٢٤ ـــ

مولد إبراهيم والآيات

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

ذكر أهل التفسير والتاريخ: أن إبراهيم ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم أن نمرود كان من ولاة كيكاوس، وبعضهم قال كان ملكاً برأسه، وقيل لنمرود أنه يولد في بلدة هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده، ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن، وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الأنبياء. وقال آخرون رأى نمرود كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعبر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاماً قتل وإن كانت جارية خليت حتى حبلت أُم إبراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة فذهبت به إلى غار ولفته في ما يصلحه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت

عنه فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصها فتشخب لبناً وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله أن يمكث وكانت تختلف إليه أُمه فكان يمص أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن ومن إصبع لبناً ومن إصبع عسلاً ومن إصبع سمناً ومن إصبع تمراً وكان يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة وأنه لما قوي واشتد وجاءت إليه أُمه كعادتها وأرادت الذهاب تعلق بها وقال لها يا أُم مالك تتركيني هاهنا أذهب معك فقالت يا بني إن الملك إذا علم أنك ولدت في هذا الزمان قتلك، فلم يصده ذلك عن ذهابه معها فجاءت به وادخلته دارها وجعلته بين أولادها فنظر إليه آزر فقال من هذا؟ قالت له هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا فقال ويحك إن علم به الملك نزلت منزلتنا وقتله وكان آزر صاحب النمرود وكان يتخذ له الأصنام وللناس يدفعها إلى ولده ويبيعونها منهم فقالت أُم إبراهيم لا عليك إن لم يشعر الملأ به بقي لنا وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه وكان آزر كلما نظر إلى إبراهيم أحبه حباً شديداً وكان يدفع إليه الأصنام ليبيعها كما يبيع اخوته فكان يعلق في أعناقها الخيوط ويجرها على الأرض ويقول من يشتري ما لا يضره وما لا ينفعه ويغرقها في الماء ويقول تكلمي، فلما بلغ أشده وخرج القوم إلى عيد لهم كسر أصنامهم فحاجهم فكان الفلاح له عليهم، فلم يجدوا انتصاراً عليه إلا أن يحرقوه بالنار، فمكثوا مدة يجمعون الحطب فاضرموا فيه النار فالقوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً كما قال تعالى.

ـــ ٢٥ ـــ

نوح وقومه

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾.

هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ يعني ادريس ولد في العام الذي مات فيه آدم لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون إلى نوح فيضربونه حتى تسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يُصنع به فيحمل فيرمى به في بيت أو على باب داره مغشياً عليه فاوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعندها أقبل إلى الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً فاعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء ولبثوا أربعين سنة لا يولد لهم ولداً وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفاراً فاعذر إليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفراً فلما يئس منهم أقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتك ولا تذرن ودا

ولا سواعا يعنون آلهتهم حتى أغرقهم الله وعاش نوح الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء ومصر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني أتحول من الشمس إلى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال له يا مالك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه عليه السلام.

ـــ ٢٦ ـــ

هود وقومه

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ذكر السدي وابن إسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشجر والأحقاف وهي رمال يقال لهارمل عالج والدهنا ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار طويلة وأجسام عظيمة وكانوا أصحاب أصنام يعبدونها فبعث الله تعالى إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فامسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجأوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وأهل مكة يومئذٍ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أُمه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكة ليستقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا

عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طوال مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي استحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه وشكى ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله، فقال معاوية بن بكر:

ألا يا قيل ويحك قم فهيمن	لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً	قد أمسوا ما يبيتون الكلاما
وإن الوحش تأتيهم جهاراً	ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما استهيتم	نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم	ولا لُقوَّا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا الحرم واستسقوا لهم فقال لهم رجل منهم قد آمن يهود سراً والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء: يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة إلى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عزَّ وجلَّ بدهو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وإنها

لتمر من عاد بالطعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم.

وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله تعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لاذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم.

ـــ ٢٧ ـــ

صالح وقمه والناقة

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره أصحاب التواريخ: أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض وكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الأرض وعبدوا غير الله تعالى فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً فلبث فيهم يدعوهم إلى الله ما شاء الله من السنين وهم لا يجيبونه إلى الخير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم أنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابوني خرجت عنكم فقد شنأتكم وشنأتموني. قالوا: قد أنصفت فتواعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه وقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه فقال لا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك وآمنا بك،

فرفع صالح يده وسأل الله سبحانه ذلك، فانصدعت الصخرة صدعاً كادت عقولهم تطير منه، ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلما في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم فقال لهم صالح : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فإذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كلما فيه ثم ترفع رأسها فتفجح لهم فيحتلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوانيهم فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمتها فهموا بقتلها . قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من إبل وبقر وغنم وكانت أشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلاً من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة أخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وقالت له أُعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه فانطلق قدار ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة فرصدوها حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أُخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظمت به عظلة ساقها وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس صورة فاسفرت لقدار ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فجزت ورغت رغاة واحدة وتحذر سقبها ثم طعن في لبتها ونحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فُعل بأُمه ولى هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغا رغاء تقطعت منه قلوب القوم وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل

تدركون فصيلها فإن ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان أول يوم أصبحت وجوههم مصفرة. فقالوا: جاءكم ما قال لكم صالح لما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئاً يتنفس إلا أهلكه فأصبحوا في ديارهم موتى ثم أرسل الله إليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم أجمعين.

وروى الثعلبي باسناده مرفوعاً عن النبي ﷺ قال يا علي: أتدري من أشقى الأولين؟ قال قلت الله ورسوله أعلم قال: عاقر الناقة قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك.

ـــ ٢٨ ـــ

لوط وقومه

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

وجملة أمرهم فيما روي عن أبي حمزة الثمالي وأبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك أنهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفاً جاء ينزل بك فإنك إن فعلت فضحنا ضيفك. فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه ولما أراد الله سبحانه عذابهم بعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن أمره بعث الله عليهم جبر ئيل في نفر من

الملائكة فأقبلوا إلى إبراهيم قبل لوط فلما رآهم إبراهيم ذبح عجلاً سميناً فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا إبراهيم إنا رُسُل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنا أُرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند إبراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع قال من أنتم؟ قالوا نحن أبناء السبيل أضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في أدبارهم ويأخذون أموالهم، قالوا قد أبطأنا فاضفنا فجاء لوط إلى أهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني أضياف هذه الليلة فاكتمي أمرهم قالت أفعل، وكانت العلامة بينها وبين قومها أنه إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون إليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه، فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرئيل يا لوط أُخرج من بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عموداً من نور وقال: اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السبعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصراخ دوابهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عزَّ وجلَّ ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بأن أرسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فأهلكوا بها.

وقال الكلبي: أول من عمل عمل قوم لوط إبليس الخبيث لأن

بلادهم كثيرة الخيرات فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره فنكح في دبره ثم عتوا بذلك العمل فلما كثر فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.

ـــ ٢٩ ـــ

الآيات المفصلات

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

قال المفسرون: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر قال هامان لفرعون: إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماءً ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة وأقام الماء على وجه أراضيهم لا يقدرون على أن يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلاء والزرع والتمر ما أعشبت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجردت زروعهم وأشجارهم حتى كانت تجرد

شعورهم ولحاهم وتأكل الأبواب والثياب والأمتعة وكانت لا تدخل
بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع
فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا
الجراد حتى اخلي عن بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الجراد
بعد أن أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ولم يدع هامان فرعون
أن يخلي عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل وهو
الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فأتى على
زروعهم كلها واجتثها من أصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها
وقيل أمر موسى أن يمشي إلى كثيب اعقر بقرب قرية من قرى مصر تدعى
عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب
أحدهم فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملاً. قال سعيد بن
جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة
أجربة إلى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم
من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت
جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا
فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني
إسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعدما أقام عندهم سبعة أيام من
السبت إلى السبت فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة الضفادع
فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم فلا
يكشف أحد ثوباً ولا إناءً ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع
وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس إلى ذقنه
في الضفادع ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق
الضفدع أكلته إلى فيه فلقوا منها أذىً شديداً فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا

إلى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله لنا أن يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فأخذ عهودهم ومواثقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دماً والإسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً وإذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للاسرائيلي: خذ الماء في فيك وصبه في فيَّ فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دماً وإن فرعون اعتراه العطش حتى أنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم فأتوا موسى وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني إسرائيل. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ وقد تقدم ذلك فراجع.

ـــ ٣٠ ـــ

المسخ

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

قيل: كانت هذه القصة في زمن داود عليه السلام وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الأحد وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً فصار الناس ثلاث فرق: فرقة عاصية، وفرقة ناهية، وفرقة ساكتة، فروي عن ابن عباس هلاك الأولى ونجاة الأخيرتين، ونجاة الثانية وهلاك الأولى والثالثة، وروي عن التوقف أيضاً ورئي بين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت أن الله تعالى أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا.

ولما لم يفد النهي والوعظ والتذكير اعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية أحد فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الأبواب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم ألم ننهكم قالت برؤوسها نعم فصارت الشبان قردة والشيوخ خنازير بعد أن كانوا رجالاً ونساء.

وينبغي أن لا ينسى أن قتل المؤمن أعظم والله من أكل الحيتان.

ـــ ٣١ ـــ

بلعم بن باعورا

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

لما خرج موسى من التيه ساروا إلى مدينة الجبارين وهي أريحا ليفتحها وعلى مقدمته يوشع بن نون فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم ابن باعورا فقالوا إن موسى جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف الإسم الأعظم فقال لهم كيف أدعوا على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فأتوا امرأته واهدوا لها هدية وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن يدعوا على بني إسرائيل فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير ربي فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاد الإستخارة فلم يُرد جواب فقالت لو أراد ربك لنهاك، ولم يزل تخدعه حتى أجابهم فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل يشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما مشى عليها إلا قليلاً حتى ربض الحمار فضربه حتى قام فسار قليلاً فربض ففعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه

في الثالثة انطقه الله تعالى ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة تردني فلم يرجع واطلق الله الحمار حينئذ فسار به حتى صعد الجبل وأشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعو عليهم انصرف لسانه إلى الدعاء لهم وإذا أراد أن يدعوا لقومه انصرف لسانه بالدعاء عليهم فقالوا له في ذلك فقال هذا شيء غلب الله عليه واندلع لسانه ووقع على صدره فكان يلهث كما يلهث الكلب كما وصفه الله سبحانه وتعالى عبرة لأولي الألباب.

ولما رأى نفسه بتلك الحالة الشنيعة أيقن بالخسران المبين فقال الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة فأمرهم أن يزينوا النساء ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن إلى المعسكر وأن لا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال إن زنا منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة قد أعجبته وأتى بها إلى موسى فقال له أظنك تقول إن هذه عليَ حرام فقال له أجل إنها حرام عليك قال له والله لا نطيعك ثم ادخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون وكان صحصاص بن عيراد بن هارون صاحب أمر عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد فشى في بني إسرائيل وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه مضاجعاً للمرأة فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفعهما حتى رآهما الناس وقال من فعل مثل هذا الفعل فعلنا به مثل هذا فرفع الطاعون بعد أن هلك من بني إسرائيل عشرون ألفاً في ساعة واحدة.

ثم أن موسى قدم يوشع إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس للغروب فخشي أن يدركهم

الليل فيحجزهم فدعا الله تعالى أن يرد الشمس فأجابه تعالى ورد الشمس عليه وحبسها حتى استأصلهم.

وفي أُمة محمد ﷺ من يضاهي يوشع ممن ردت له الشمس وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد رد الله عليه الشمس مرتين كما لا يخفى على من تتبع التأريخ والسير وفي المدينة مسجد يقع شرقي قبا يعرف بمسجد الشمس حتى اليوم لوقوع أحد الفضيلتين فيه.

— ٣٢ —

بدر الكبرى

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ الآيات.

قال أصحاب السير: أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة وفيها أربعون راكباً من قريش فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها وقال: لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ أستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب أغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك واخبرت العباس بذلك فاخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبد

المطلب واللات والعزى لننظرن ثلاث أيام فإن كانت ما رأت حقاً وإلا لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما أراكم تدركون أن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال يا رسول الله إنها قريش وخيلائها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب فقال له النبي ﷺ إجلس فجلس فقام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال له النبي ﷺ اجلس فجلس فقام المقداد فقال يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ولكنا نقول إمض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله خيراً على قوله ذاك ثم قال أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا برآء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبنائنا ونسائنا فكان يتخوف أن يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو وأن

ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ وقال بأبي أنت وأُمي يا رسول الله كأنك أردتنا فقال نعم فقال بأبي أنت وأُمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله تعالى فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عزَّ وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله وقال سيروا على بركة الله فإن الله عزَّ وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج إلى بدر وأقبلت قريش وبعثت عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم من أنتم؟ قالوا نحن عبيد قريش قالوا فأين العير؟ قالوا لا علم لنا بالعير فأقبلوا يضربونهم وكان رسول الله يصلي فلما انفتل من صلاته قال إن صدقوكم فضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من أنتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جور قالوا: تسعة إلى عشرة فقال ﷺ: القوم تسعمائة إلى ألف رجل وأمر بهم فحبسوا فبلغ ذلك قريش ففزعوا وقدموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم بغوا قط ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له أبو البختري أنت سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي أصابها محمد وأصابه بنحلة ودم ابن الحصرمي فإنه حليفك فقال له: عليَّ ذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلية يعني أبا جهل فصر إليه وأعلمه أني

حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال: فقصدت خبائه وأبلغته ذلك، فقال: إن عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريدان الخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نأخذهم أُسارى وندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وإن لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فاراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة. قال: وفزع أصحاب رسول الله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا إلى الله سبحانه ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية.

ـــ ٣٣ ـــ

بدر الكبرى أيضاً

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

ذكروا أن النبي ﷺ لما نظر يوم بدر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية ولما أمسى وجنّه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتى لبد الأرض وثبت أقدامهم وكان المطر على طريش مثل العزالي وألقى الله في قلوبهم الرعب ولما أصبح رسول الله ﷺ عبأ أصحابه فكان في عسكره فرسان للزبير والمقداد وسبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة أترى لهم كميناً أو مدداً؟ فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع

أما ترونهم خرساً لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا تقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتؤوا رأيكم فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت.

وإن الله تبارك وتعالى أنزل على نبيه قوله ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش إني أكره أن أبدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا، فقال عتبة: ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ﷺ إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال: في خطبته يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر إن محمداً له إله وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعزى فإن يك صادقاً فإنتم أعلى به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره فغاظ أبا جهل قوله وقال له: جبنت وانتفخ سحرك فقال له: يا مصفر استه مثلي يجبن وستعلم قريش أينا الأم وأجبن وأينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج إلينا أكفاؤنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقال لهم ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة وقال قم يا عم ثم نظر إلى علي بن أبي طالب فقال قم يا علي وكان أصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفىء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي عليه السلام عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً وحمل حمزة على

شيبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل أمير المؤمنين علي على الوليد فضربه علي حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى الكلب قد ابهر عمك فحمل عليه علي وقال يا عم طأطأ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه ثم جاء مع عمه حمزة واحتملا عبيدة وبه رمق وجاءا به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه استعبر ﷺ فقال عبيدة يا رسول الله ألست شهيداً قال بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي وصرخ أبو جهل بالناس يحرضهم على القتال ويقول لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة عليكم بأهل يثرب فأجزروهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم أنا جار لكم ادفعوا إلي رايتكم فدفعوا إليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر إليه رسول الله فقال غضوا أبصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده داعياً بما تقدم ثم أصابه الغشى ثم سرى عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين فكان الرجل من أصحاب الرسول ﷺ حين التقى الفريقان يشير إلى رأس المشرك بالسيف فيقع رأسه قبل أن يصل إليه وإن إبليس لما رأى جبرئيل مع الملائكة رمى الراية من يده وفر مهرولاً فتعلق به أبو جهل قائلاً مالك يا سراقة تفت في أعضاد الناس فقال له دعني إني أرى ما لا ترون فكان النصر طبعاً لرسول الله ﷺ فقتل من المشركين سبعين وأُسر سبعين وكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

ـــ ٣٤ ـــ

بين علي والعباس وطلحة

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

قيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك أنهم افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد.

وعن ابن بريد عن أبيه قال. بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مر بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج، وقال شيبة أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي عليه السلام استحييت لكما أوتيت على صغر سني ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله وبرسوله فقام العباس مغضباً يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أما ترى إلى ما استقبلني به علي، فقال ادعوا لي علياً فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرضى، فنزل جبرئيل فقال يا محمد

إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول اتل عليهم ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآيات فقال العباس إنا قد رضينا رضينا رضينا .

وفي تفسير أبي حمزة : أن العباس لما اسر يوم بدر أقبل عليه أُناس من المهاجرين والأنصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية .

أبا الحسن :ـ

سارت بأنوار علمك السير   وحدثت عن جلالك السور

والواصفون المحدثون غلوا   وبالغوا في علاك واعتذروا

ـــ ٣٥ ـــ

حنين

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان أو في شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن إلى مالك ابن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونسائهم وذراريهم ونزلوا باوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جشم وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال بأي واد أنتم قالوا باوطاس نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا أن مالك بن عوف ساق مع الناس أبناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد: راعى ضان ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال: يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك إلى عليا بلادهم والق الرجال على متون الخيل فإنه لا ينفعك إلا رجل بسيفه وفرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك لا

تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذهب علمك وعقلك، وعقد رسول الله ﷺ لوائه الأكبر ودفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وكل من دخل مكة برأيه أمره أن يحملها وخرج بعد أن أقام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث إلى صفوان بن أُمية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال ﷺ عارية مضمونة مؤداة فاعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمي الفتح الفا رجل وكان صلى الله عليه وآله دخل مكة في عشرة آلاف وخرج منها في اثنى عشر ألفاً إلى هوازن وبعث ﷺ رجلاً من أصحابه إليهم فانتهى إلى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمداً لم يلق أحداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الغداة وانحدر في وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم من ورائهم وخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لإعجابهم بكثرتهم وبقي علي عليه السلام ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أُم أيمن وقتل يومئذ، وفي ذلك يقول العباس بن عبد المطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه واقشعوا

وقولي إذا ما الفضل كر بسيفه ... على القوم اخرى يا بني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما ناله في الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صيتاً أصعد هذا الظرب[1] فناد: يا معشر المهاجرين والأنصار يا أصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى أين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك وتبادر الأنصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ـ الآن حمي الوطيس ـ:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة ومروا في كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم ومر مالك بن عوف ودخل حصن الطائف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغم الله المسلمين أموالهم ونسائهم وأمر رسول الله ﷺ بالذراري والأموال أن تحدر إلى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف فحاصر أهل الطائف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاة ما لا يدري عدته ثم أقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله: إنما في الحضائر خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو أنا ملكنا ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت خير الكفولين ثم أنشد أبياتاً.

فقال النبي ﷺ أي الأمرين أحب إليكم السبي أو الأموال؟ فقالوا يا

---

(١) الظرب: التل الصغير.

رسول الله خيرتنا بين الحسب والأموال والحسب أحب إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير. فقال رسول الله ﷺ أما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفدا وعليَّ فداؤهم فرد الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلاً من الناس سألوا للفداء وارسل رسول الله إلى مالك ابن عوف وقال إن جئتني مسلماً رددت إليك أهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة فرجع إليه من الطائف فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه.

ـــ ٣٦ ـــ

من البخل

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

قيل: إن رسول الله ﷺ لما استنفر الناس إلى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر فقام جد بن قيس اخو بني سلمة من بني الخزرج فقال يا رسول الله االذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فإني أخاف أن أفتتن بهن فقال قد أذنت لك فانزل الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ الآية فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال ﷺ وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الأبيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور فقال حسان بن ثابت:

وقال رسول الله والقول لاحق	بمن قال منا من تعدون سيدا
فقلنا له جد بن قيس على الذي	نبخله فينا وإن كان انكدا
فقال وأي الداء ادوى من الذي	رميتم جدا وإن كان أمجدا
وسوَّد بشر بن المبراء لجوده	وحق لبشر ذي الندى أن يسودا
إذا ما أتاه الوفد أنهب ماله	وقال خذوه إنه عائد غدا

ـــ ٣٧ ـــ

يونس

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾.

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم أن قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل وكان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فأخبرهم أن العذاب مصحبهم إلى ثلاث إن لم يتوبوا فقالوا إنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا إن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا غشيهم العذاب فاغامت السماء غيماً هائلاً اسودا يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد وآخر اسمه روبيل عالم وكان العابد يسير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى أنه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم

افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء وأطفالها وبين سائر الحيوانات واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فحن بعضهم إلى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وتضرعوا إلى الله عزَّ وجلَّ وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعائهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم.

ومر يونس على وجهه مغاضباً كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وارادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع من بينهم السهم على يونس فاخرجوه فالقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء فاوحى الله إلى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فإني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوماً.

قال عبد الله بن مسعود وابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به إلى قرار الأرض وهناك مر بقارون إذا سمعه يسبح فسأله عن آل عمران فأخبره بموتهم فتأوه عليهم فرفع الله عنه عذاب الدنيا لرقته على رحمه ومكث يونس في بطن الحوت يطوف به فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله تعالى تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مأة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى فقال له من أنت؟ قال من قوم يونس فقال له إذا رجعت إليهم فأخبرهم أنك لقيت يونس فأخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به.

ـــ ٣٨ ـــ

سفينة نوح

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

عن النبي ﷺ أنه قال مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى حتى إذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينة وقومه يمرون عليه فيسألونه فيقول أعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري؟ فيقول سوف تعلمون فجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وارتفاعها ثلاثين ذراعاً على ثلاث طبقات أسفلها للوحوش والسباع والهوام وأوسطها للدواب والأنعام وركب هو ومن معه في الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وكانت من خشب الساج وأمره الله تعالى أن يجعل فيها من كل زوجين اثنين.

ـــ ٣٩ ـــ

امرأة خائنة

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

روي في بعض التفاسير عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: كان في زمن بني إسرائيل رجل وكان له مع الله معاملة حسنة وكان له زوجة وكان ظنيناً بها وكانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن وكان يقفل عليها الباب فنظرت يوماً شاباً فهوته وهواها فعمل لها مفتاحاً على باب دارها وكان يدخل ليلاً ونهاراً متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك فبقيا على ذاك زماناً طويلاً فاحس ذات يوم بشيء فقال لها وكان أعبد بني إسرائيل وازهدهم إنك قد تغيرت عليَّ ولم أعلم ما سببه وقد توسوس قلبي وقد كان أخذها بكراً ثم قال لها واشتهي منك تحلفي لي أنك لم تعرفي رجلاً غيري وكان لبني إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده وكان الجبل خارج المدينة وكان عنده نهر يجري وكان لا يحلف عنده أحد كاذباً إلا هلك. فقالت له: ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل قال نعم قالت متى شئت فعلت فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فاخبرته بما جرى لها مع زوجها وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل وقالت ما يمكنني أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجي ما أحلف فبهت الشاب

وتحير وقال لها فما تصنعين فقالت له بكر غداً والبس ثوب مكاري وخذ حماراً واجلس على باب المدينة فإذا خرجنا فأنا آمره أن يكتري منك الحمار فإذا اكتراه منك بادر واحملني وأرفعني فوق الحمار حتى أحلف له وأنا صادقة أنه ما مسني أحد غيرك وغير هذا المكاري فقال حباً وكرامة فلما جاء زوجها قال لها قومي بنا إلى الجبل لتحلفي به فقالت مالي طاقة بالمشي فقال لها اخرجي فإن وجدت مكارياً اكتريت لك فقامت ولم تلبس لباسها فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يا مكاري اتكري حمارك إلى الجبل بنصف درهم قال نعم ثم تقدم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل فقالت للشاب أنزلني عن الحمار حتى أصعد على الجبل فلما تقدم الشاب إليها القت بنفسها على الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال والله مالي ذنب ثم مدت يدها إلى الجبل فامسكته وحلفت له أنه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إلي منذ عرفتك غيرك وغير هذا المكاري فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه، وانكرت بنو إسرائيل ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

ـــ ٤٠ ـــ

يوسف

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ إلى آخر السورة.

وكان من قصته مع اخوته: هو أنه رأى في منامه ذات ليلة كأن الشمس والقمر واحد عشر كوكباً قد سجدوا له فلما أصبح قص رؤياه على أبيه فنهاه أبوه عن إذاعتها مخافة عليه من اخوانه أن يكيدوا له كيدا يكون به هلاكه لما يعرفه من حسدهم له لمحبته إياه ومودته له فلما اتصل بهم حديث الرؤيا اشتد بهم الحسد حتى حملهم على الإيقاع به فجعلوا يتأمرون في كيفية ذلك فكان ما تواروا به واتفقوا عليه ما حكاه الله تعالى عنهم ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ فاتفقوا على قتله أو إبعاده عن أبيه في أرض تأكله فيها السباع غير أن أحدهم رأى أن يلقى في غيابة الجب فتأخذه بعض المارة من المسافرين فيذهبوا به إلى بعض النواحي البعيدة فلا يتصل لأبيه كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ فلما اتفقوا جميعاً على هذا الرأي

الأخير تقدموا إلى أبيهم، ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ فأجاب أن لا مانع هناك إلا أني أخاف عليه الذئب حينما تكونوا مشغولين بأعمالكم فتنبهوا إلى أن الذئب يأكل ابن آدم ولم يكونوا عارفين بذلك فكأنه لقنهم الحجة حيث قال ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَـٰفِلُونَ﴾ فأجابوا بنشاط وقوة ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ فلما كان الغد أرسله معهم ابتغاء الإلفة والمحبة بعد أن ودعه باكياً فاخرجوه بالحفاوة والإكرام فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بكل واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه وجاؤا به إلى البئر ونزعوا قميصه قهراً وهو يقول ردوا علي قميصي اتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسنك فدلوه في البئر عرياناً حتى إذا بلغ نصفها القوه حتى يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه فأمر الله صخرة فارتفعت من أسفل البئر حتى قام عليها يوسف فأضاء البئر وصفا ماؤه وعذب حتى أغناه عن الطعام والشراب وهبط عليه جبرئيل يؤنسه والبسه قميص جده إبراهيم الخليل حيث كان أبوه يعقوب جعله عليه في تعويذة في عنقه فحله جبرئيل والبسه إياه.

وعن الصادق عليه السلام قال لما ألقى أخوة يوسف يوسفاً في الجب نزل عليه جبرئيل فقال له يا غلام من طرحك هنا قال اخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال ذاك إلى إله إبراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرئيل فإن إله إبراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تصلي على

محمد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا احتسب، فجعل الله له من الجب يومئذ مخرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب.

فلنترك يوسفاً في الجب ونعود مع أخوته لنسمع ما يعتذرون به إلى أبيهم فإنهم لما القوه الجب وأيقنوا بهلاكه تقريباً بعد أن لطخوا قميصه بدم شاة ذبحوها رجعوا إلى أبيهم ليلاً كما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦﴾ فلما سمع بكائهم قال ما بالكم ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ وهذا قميصه ملطخاً بدمه كما قال تعالى ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ فقال يعقوب أروني قميصه فاروه إياه فلما رأى القميص صحيحاً قال يا بني والله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قميصه ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

فلندع يعقوب في حزنه ونرجع إلى سجين الجب يوسف فإنه لما دعا بما تقدم أتاح الله له سيارة قافلة فنزلت قريباً من جبه ﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ في طلب الماء وهو رجل اسمه مالك بن زعر ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ فتعلق به يوسف فلما خرج ورآه المدلي وإذا هو غلام من أحسن ما طلعت الشمس عليه واخفوا أمره ليربحوا ثمنه كله ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ غير أن اخوته غلبوا عليه مدعين عبوديته لهم فباعوه من مالك ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ لا تزيد عن عشرين درهماً فحمله مالك إلى مصر فعرضه للبيع فتزايدوا فيه حتى بلغ ثمنه وزنه ورقاً ومسكاً وحريراً فاشتراه عزيز مصر بهذا الثمن وجاء به إلى منزله وقال ﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ حيث كان عقيماً لا يأتي النساء ولا يولد له، فكان يوسف في بيت

العزيز كالولد البار الآمر الناهي ليس دونه شيء حتى بلغ أشده ومنتهى شبابه وقوته وكمال عقله مضافاً إلى حسنه وجماله فقد حاز نصف جمال المخلوقين وكان حسنه كضوء النهار عن الليل الأمر الذي دعا زوجة العزيز إلى ما حكى الله تعالى عنها ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ فلا أخونه في أهله واعرضت زوجة العزيز في إنهاء شهوتها من يوسف واصرت عليه إصراراً شديداً واغلقت عليه الأبواب فلم يكن له بد إلا الفرار والخروج من البيت فعدى إلى الباب فعدت خلفه فالتزمته من خلفه فمزقت ثيابه من ورائه لشدة قبضتها عند الباب كما قال تعالى ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ فقد همت به أرادت منه المعصية والفاحشة وهم بها دافعها عن نفسه بقدرته وأراد ضربها ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ بانكشاف الواقع من نتيجة ذلك وهو قتله المسبب عن قذفها إياه وضربها عند امتناعها فصرف عنه السوء الذي هو القتل والفحشاء وهو ظن اقتراف الفاحشة.

وأنهما عند الباب وإذا بزوجها قد أقبل مع ابن عم لها فلما رأت زوجها بادرت بالكلام والقت المسؤولية والذنب على يوسف طالبة عقابه قائلة ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فلم يكن ليوسف بد من الصدق بتنزيه نفسه فـ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ وهذا قميصي كما ترون فشهد ابن عمها بما رأى مما دلت عليه قرائن الحال كما قال تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ لأنه القاصد وهي الدافعة ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ لأنه الهارب وهي الطالبة ففتشوا القميص فوجدوه قد من دبر فحق لدى العزيز خيانتها وبراءة يوسف ﴿قَالَ

إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ وبالرغم من ذلك فقد شاع ذلك النبأ وعرفه الناس فكن نساء المدينة يتحدثن به ويعيرنّ زوجة العزيز ويلمنها ويخطئنها فبلغها ذلك فهيأت لهن مجلساً جمعت أماثلهن فيه وهن أربعون امرأة كما قال تعالى ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ الآيات، ليقطعن الفواكه المعدة لهن فلما اشتغلن بذلك ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ فخرج للخدمة، أو للسلام عليهن أو ليرينه ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أعظمنه وتحيرن في جماله إذ كان كالقمر في ليلة البدر ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ جرحن أيديهن ولم يحسسن بالألم ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ فجعلت امرأة العزيز هذا الاعتراف بالإعظام له عذراً لها فاعترفت بخطأها وأباحت عما أكنه ضميرها من الإصرار فقالت ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ فاستأذن النسوة امرأة العزيز أن تخلو به كل واحدة منهن لاقناعه على موافقتها وامتثال أمرها وطاعتها وقضاء حاجتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها فلما رأى ذلك قال ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ﴾ فلما يئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها إن هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث أنه يخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن اعتذر بعذري فإما أن تأذن لي فأخرج واعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته بالآيات الدالة عليها المشار إليها بقوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾ فحبس

يوسف فكان رحمة على المسجونين عامة ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ أحدهما ساقي الملك والآخر صاحب طعامه فسعى بهما إليه أنهما يريدان سمه فرأى الساقي في منامه كأنه يجني عنباً ويعصره في كأس الملك ويسقيه ورأى صاحب الطعام كأن فوق رأسه ثلاث سلال فيها الخبز والوان الطعام وسباع الطير تنهض فأقبلا معاً على يوسف وقصا عليه رؤياهما وقالا ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ﴾ فقالا لم نر شيئاً فقال ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ والتفت إلى الساقي المظنون بنجاته وقال ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك الملك أني محبوس ظلماً ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سبع سنوات متواليات فأنزل الله سبحانه جبرئيل على يوسف وهو في السجن معاتباً على استغاثته بالمخلوق ومعلماً له بمدة بقائه في السجن كما قال تعالى ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سبع سنين فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيتان وتأذى لبكائه أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً وكان يوم سكوته أسوأ حالا .

فلما انقضت المدة وأذن له بدعاء الفرج وضع خده على الأرض وقال اللهم إن كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجوه آبائي الصالحين إبراهيم واسحاق ويعقوب ففرج الله عنه وهيأ الأسباب لذلك فرأى الملك في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ير منهن شيئاً ورأى في منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فجمع لها العلماء والكهنة والسحرة وطلب منهم تعبيرها فما كان منهم إلا أن ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ

أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فإنها أباطيل وتخاليط، فجاء الساقي وجثا بين يدي الملك وقال: يا أيها الملك إني قصصت وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فاخبر بتأويلها وصدق في جميع ما وصف فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فأذن له فأقبل إلى السجن حتى دخل على يوسف وقال ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ الآية فإن الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن فقال يوسف في جوابه معبراً ومعلماً: أما البقرات السبع العجاف، والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدية وأما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وأنتم ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ كعادتكم في الزراعة بجد واجتهاد ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من الزرع ﴿فَذَرُوهُ﴾ فدعوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لا تذروه ولا تدوسوه ليكون أبقى له ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ سبع سنين صعاب مجدبات تشد على الناس ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ نسب الأكل إليها لوقوعه فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ مما تحرزون وتدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ كما هو الحال في السنين المخصبات يعصر الناس فيها العنب والزيت والسمسم وغيرها لكثرة الثمار فارجع إلى الملك واخبره فلما رجع الرسول إلى الملك وأخبره ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ﴾ فلما جاءه الرسول وقال له أجب الملك أبى يوسف أن يخرج من السجن حتى تتضح براءته مما قذف به وقال للرسول ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ سيدك الملك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ﴾ ليتعرف حالهن فيعلم صحة براءتي فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بمقالة يوسف فأرسل الملك إلى النسوة وامرأة العزيز معهن فقال لهن ﴿مَا

خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ودعوتنه إلى غير الجميل ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ وما فعل شيئا مما نسب إليه وأنه حبس مظلوما فـ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ظهر وتبين وحصل ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فلما تبين للملك أمانة يوسف وبراءته من السوء وعلمه أمر بإحضاره فجاء الرسول إلى يوسف وقال له قم فإن الملك يدعوك وألق ثياب السجن عنك والبس ثياباً جدداً فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك بعد أن كتب على باب السجن: هذه قبور الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء، ودعا لأهل السجن قائلاً اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار، ودخل على الملك وهو ابن ثلاثين سنة فلما رآه شاباً حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي قال نعم وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فاستخبر يوسف فوجده عالماً بها كلها فقال أُحب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً فقصها عليه وعبرها له وأخبره بما يجب ويلزم حول ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفى الشغل فيه فعندها قال يوسف ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ والياً عليها حتى أضعها موضعها فبقي يوسف في بيت الملك سنة كاملة وبعدها توجه الملك وقلده بسيفه وأمر بأن يوضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم أمره أن يخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس وأحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾.

قال الرضا صلوات الله عليه: واقبل يوسف على جمع الطعام فجمعه

في السبع السنين المخصبة فكبسه الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر ولا حولها دينار ولا درهم إلا سار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر أو مزرعة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار عبداً ليوسف فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً وهذا هو التمكين المذكور في الآية بقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾.

فلنترك يوسف على سرير ملكه ونرجع إلى أبيه وأخوته لننظر كيف حالهم في هذه الأزمة وكيف يأتون كغيرهم يمتارون فقد أصابهم ما أصاب الناس قالوا جمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني أنه يباع الطعام بمصر وأن صاحبه رجل صالح فاذهبوا إليه فإنه سيحسن إليكم إن شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ وكان ينتظر قدومهم فقال لهم بواسطة الترجمان من أنتم؟ قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم

عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان ولو تعلم بأبينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن أنبيائه وأنه لمحزون، قال: وما الذي أحزنه فلعل حزنه إنما كان من قبل سفهكم وجهلكم، قالوا يا أيها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن أصغرنا سناً وأنه خرج يوماً معنا إلى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزيناً كئيباً باكياً فقال لهم يوسف: كلكم من أب وأُم؟ قالوا أبونا واحد وامهاتنا شتى قال فما حمل أباكم على أن سرحكم كلكم ألا حبس واحداً يستأنس به قالوا قد فعل، حبس منا واحداً وهو أصغرنا سناً لأنه أخو الذي هلك من أُمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد، فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده فحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لطلب الميرة مرة أُخرى هذا بعد أن وعدهم وتوعدهم ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ ودخلوا عليه سلموا تسليماً ضعيفاً فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاماً ضعيفاً وما لي لا أسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا أبانا إنا جئناك من عند ملك اعظم الناس ملكاً ولم ير الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينة ووقاراً ولئن كان لك شبيه فإنه يشبهك ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء أنه اتهمنا وزعم أنه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك إليه ليخبره عن حزنك وما الذي أحزنك وعن سرعة الشيب إليك وذهاب بصرك ومنع منا الكيل فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا ﴿فَأَرْسِلْ

مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يصيبه سوء ومكروه، فقال يعقوب ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ خير من حفظكم ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وأقبلوا إلى أوعية طعامهم ففتحوها فوجدوا ثمنها فيها وكان يوسف أمر بردها عليهم بأن توضع في رحالهم فوضعت فجاؤا بها وهم لا يعلمون كما قال تعالى ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾ ما نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ وبعد أن استوثق يعقوب من بنيه أجمع بكفالة بن يامين وحفظه أرسله معهم وسرحهم ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ لئلا تصابوا بالعين أو بسطوة الملك فدخلوا مصر من أبوابها الأربعة متفرقين وجاؤا يريدون الدخول ولما دخلوا على يوسف قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وقال ليجلس كل بني أُم على مائدة فجلسوا فبقي بنيامين قائماً فرداً فقال له يوسف ما لك لا تجلس قال إنك قلت ليجلس كل بني أُم على مائدة وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف أفما كان لك ابن أُم قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء أن الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي أحد عشر إبناً كلهم اشتققت لهم أسماء من اسمه فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال بنيامين إن لي أباً صالحاً وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فقال يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته فجلس بنيامين مع يوسف وقال له موريا أنا أخوك مكان الهالك ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مطيباً لنفسه ورافعاً لوحشته.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾أعطاهم ما جاؤوا لأجله من الكيل والميرة ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ الصاع أو مشربة الملك ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ ثم أذن المؤذن بأمر يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أي القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ فأقبل أصحاب العير على أصحاب يوسف يسألونهم ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ من متاعكم ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ - كفيل - ضامن - ﴿قَالُواْ﴾ أخوة يوسف ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ بظهور السرقة عندكم ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ جزاء السارق أن يستخدم السارق ويسترق على قدر سرقته ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ في التفتيش ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لإزالة التهمة ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ فأقبلوا على بنيامين وقالوا فضحتنا وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ فليست سرقته بأمر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف وتوضيح سرقة يوسف أن عمته الحاضنة له بعد أُمه ادعت عليه منطقة حزمته بها لتكون سبباً لبقائه عندها لمحبتها إياه كما هو حكم يعقوب في السارق أن يستخدمه المسروق منه على قدر السرقة حيث أن أباه أراد أن يأخذه منها فاحتالت عليه بذلك لا كما ظنه إخوته الذين القوه في الجب وادعوا عليه الأباطيل ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ولم يقابلهم بفعلهم وعملهم سوا أنه قال ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ وضم أخاه إليه فجاؤا يتضرعون ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ إلينا ونأمل هذا منك لإحسانك إلينا فاجابهم يوسف بأن قال ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ فلما يأسوا منه اعتزلوا

الناس يتشاورون في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ يتناجون فيما بينهم فقال شمعون كبيرهم في العقل والعلم ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ الآية إلى أن قال ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ إلى آخر ما ذكره الله تعالى من مقالهم فقال لهم أبوهم يعقوب ما عندي ان الأمر على ما تقولنه ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فيما أظن ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ فقد بلغ من حزنه حزن سبعين حرى ثكلى فقال له وُلده ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ دنفا فاسد العقل ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الميتين تبرماً ببكائه إذ تنغص عيشهم بذلك أو اشفاقاً عليه ورحمة له فأجابهم ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وفي هذه الآونة بعد بنيامين أنزل الله سبحانه عليه جبرئيل فقال يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أبشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاماً للمساكين فإن أحب عبادي إلي المساكين أوتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك لأنكم ذبحتم شاة وأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئاً فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء أمر منادياً ينادي ألا من أراد الغذاء من المساكين فليتغذ مع يعقوب وإذا كان صائماً أمر منادياً ينادي ألا من كان صائماً فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في صحيحه.

وإن يعقوباً سأل ربه ذات يوم أن يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال أخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا فعلم أنه حي فقال ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استخبروا من شأنهما واطلبوا خبرهما وانظروا ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه القى

في روعي أن الله حبس بنيامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالاً في حبس أخيه عند نفسه ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فتجهزوا يريدون مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ الجوع والحاجة والشدة بهلاك المواشي والبلاء ﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ دراهم ردية زيوفا ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ﴾ برد أخينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك تخلية سبيله فمنّ به علينا فاخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضعه على عينه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص، ونص الكتاب كما عن أبي عبد الله عليه السلام :ـ

(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عزيز مصر، ومظهر العدل، وموفي الكيل، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صاحب النمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وانجاه منها، أخبرك أيها العزيز إنا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله تعالى ليبلونا عند السراء والضراء، وأن المصائب تتابعت علي عشرين سنة أولها أنه كان لي ابنٌ سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي، وقرة عيني، وثمرة فؤادي وأن إخوته من غير أُمه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكره فجاؤوني عشاءً يبكون وجاؤوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب أكله فاشتد لفقده حزني، وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيناي من الحزن وأنه كان له أخ وكنت به معجباً وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فسكن بعض ما أجد في صدري، وأن اخوته ذكروا لي أنك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إلي وليس هو معهم وذكروا أنه سرق مكيال الملك ونحن أهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني

وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري، وعظمت به مصيبتي، مع مصائب تتابعت علي فمنّ علي بتخلية سبيله واطلاقه من حبسك، وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر، وأوف لنا الكيل، وعجل سراح آل إبراهيم).

فلما قرأ الكتاب أقبل عليهم وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ ما أعظم ما أرتكبتم وما أقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ورفع التاج عن رأسه فعرفوه و﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ المظلوم المراد قتله ﴿وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ﴾ بالاجتماع وبكل خير في الدنيا والآخرة ﴿...إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا...﴾ فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ آثمين فيما فعلنا، قال ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ في عفوه عنكم ما تقدم من ذنبكم ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فتنافسوا في القميص كل يريد أخذه فقال يوسف إنما يذهب بقميصي من ذهب به أولاً فقال يهوذا أنا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته أنه أكله الذئب قال فاذهب بهذا أيضاً فاخبره أنه حي وافرحه كما أحزنته. فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى أتاه وكان معه سبعة أرغفة وكانت المسافة بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف إلا رغيفاً في الطريق وبالرغم من هذه السرعة الشديدة فقد وجد يعقوب ريح يوسف قبل مسيرة ثمان ليال وذلك أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تحمل ريحه فتلقيه على يعقوب قبل وصول البشير بهذه المدة ونبه يعقوب على ذلك إذ كان جالساً مع أحفاده إذ قال ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن

﴿تُفَنِّدُونِ﴾ تقولون إنه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ وهو يهوذا ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ عاد إليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أثيبك به هون الله عليك سكرات الموت.

وبعد أيام: وصل جملة اخوة يوسف إلى أبيهم مجهزين بمأتي راحلة مع ما يحتاج إليه في السفر مأمورين بتجهيز أهلهم جميعاً إلى مصر فقال يعقوب لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم أجمعين فساروا إليه ويعقوب معهم وخالة يوسف أم يامين فحثوا السير فرحاً وسروراً تسعة أيام إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام قائلاً: السلام عليك يا مذهب الأحزان وبكى كل منهما فرحاً وسروراً ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضمهما إليه وأنزلهما عنده ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو سرير الملك إعظاماً لهما وتكريماً ثم دخل منزله وادهن وتطيب ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا له جميعاً إعظاماً له وشكراً لله عند ذلك ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾.

إلى هنا فلندع يوسفاً وأباه وأُمه واخوته يتمتعون بالملك وعظيم الزلفى ونعود إلى تلك البائسة زوجة العزيز زليخا صاحبة يوسف فقد تركناها معترفة بالذنب منزهة ليوسف تردد الآهات والحسرات عليه وتنظر إلى ما آل أمرها.

في تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال: لما مات العزيز وذلك في

السنين المجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم يسمونه بهذا الإسم فقالت أستحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه زليخا فقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيداً والعبيد بالطاعة ملوكاً فقال يوسف أأنت تلك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك فيَّ قالت دعني بعدما يئست اتهزأ بي؟ قال لا قالت نعم، قال فأمر بها فحولت إلى منزله وكانت هرمة فلما جاء إلى المنزل قال لها ألست فعلت بي كذا وكذا؟ قالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت في بلاء لم يبل به أحد قال وما هو؟ قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيراً في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة أجمل مني ولا أكثر مالاً مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله تعالى أن يرد عليَّ شبابي فسأل فرد عليها فتزوجها وهي بكر فولدت له افراييم وميشا ورحمة التي تزوجها أيوب.

وتوفي بعد أبيه بثلاثة وعشرين سنة عن عمر لا يقل عن مائة وعشر سنين ودفن في النيل في صندوق من الرخام، وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلته لما كان يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمر عليه الماء ثم يصل إلى جميع مصر فيكونون فيه كلهم شركاء وفي بركته شرع سواء، فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر.

ـــ ٤١ ـــ

في القبر

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

روى الكليني رحمه الله عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ولده وماله وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خذ منك كفنك، فيلتفت إلى أولاده فيقول والله إني كنت لكم لمحباً وغليكم لمحامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: ترسلك إلى حفرتك نواريك فيها. قال فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهد وإنك علي لثقيلا فماذا لي عندك فيقول أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أُعرض أنا وأنت على ربك، قال: فإن كان الله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً فقال له: أبشر بروح وريحان وجنات ونعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

الأرض بانيابهما أصواتهما كالرعد القاصف أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك؟ فيقول الله ربي وديني الإسلام ومحمد نبيي وعلي بن أبي طالب واولاده المعصومين أئمتي، فيقولان له ثبتك الله فيما تحب وترضى وذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ويقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله سبحانه يقول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا.

قال: وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله زياً وانتنه ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحتبسوه فإذا أُدخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا اكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان نافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناة من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وأنه ليتمنى قيام الساعة مما فيه من الشر، نعوذ بالله من عذاب القبر.

ـــ ٤٢ ـــ

المعراج

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

روي أن النبيﷺ قال: أتاني جبرئيل وأنا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فإذا جبرئيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرئيل بالبراق وهو فوق الحمار ودون البغل خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس وإذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس ثم أخذني جبرئيل بيده إلى الصخرة فاقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسناً وجمالاً فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلمون علي ثم صعد بي جبرئيل إلى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعد بي إلى السماء السادسة

فرأيت فيها موسى وخلقاً كثيراً يموج بعضهم في بعض ومنها الكروبيون ثم صعد بي إلى السماء السابعة فرأيت إبراهيم وخلقاً وملائكة ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى.

وكان ﷺ حين بلغ من ربه كقاب قوسين أو أدنى منفرداً حيث أن جبرئيل تركه أثناء الطريق قائلاً له سر ما وطأ نبي قط مكانك وهناك على بساط القدرة والعظمة كانت المناجاة بين الله تبارك وتعالى وعبده نبينا محمد ﷺ وأكثرها في مصالح الأمة وقد نزل بكاملها جبرئيل قرآناً يتلى ابتداءً من قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فقال النبي ﷺ نعم ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ إلى آخر سورة البقرة فراجع وصدرت الموافقة من رب العزة تبارك وتعالى على كل ما طلبه النبي ﷺ بقوله تعالى قد فعلت والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الضحى ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾.

كما عرفت مر النبي ﷺ بكثير من الملائكة فما منهم إلا مسلم عليه وباسم إليه ومستبشر به حتى مر بملك لم ير منه مثل ذلك بل هو كئيب حزين فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا؟ فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله تعالى فقال له النبي ﷺ يا جبرئيل أسأله أن يريني إياها فقال جبرئيل: يا مالك هذا محمداً رسول الله وقد شكا إلي فقال ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي فاخبرته وقد سألني أن أسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من أطباقها فما روئي رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى قبض.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: ورأيت في النار كل

مشرك ومشركة وجاحد وجاحدة وزان وزانية وحاسد وحاسدة ونمام ونمامة وقاتل النفس وناقض العهد وخائن الأمانة والمؤذي جاره وتارك الصلاة ومانع الزكاة وتارك الحج وناصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام إلى غير ذلك من ذي الكبائر المتوعد عليها النار نعوذ بالله منها ونسأله العصمة من موجبها.

وفي روضة الواعظين لابن الفتال ما نصه: ثم مضى صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى حيث انتهى وفرضت عليه الصلاة خمسون صلاة قال فأقبل فلما مر بموسى قال يا محمد كم فرضت الصلاة على أمتك؟ قال خمسون قال أرجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عن امتك قال فرجع ثم مر على موسى فقال لكم فرض على امتك قال كذا وكذا قال: إن أُمتك أضعف الأمم أرجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عن أُمتك فإني كنت في بني إسرائيل فلم يكونوا يطيقون إلا دون هذا فلم يزل يرجع إلى ربه عزَّ وجل حتى جعلها خمس صلوات قال ثم مر على موسى قال فكم فرض على أُمتك قال خمس صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عن امتك قال قد استحييت من ربي مما ارجع إليه.

ثم مضى فمر على إبراهيم خليل الرحمن فناداه قال يا محمد اقرأ أُمتك مني السلام واخبرهم أن الجنة ماؤها عذب وتربتها طيبة قيعانها بيض غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فمر أُمتك فليكثروا من غرسها.

ـــ ٤٣ ـــ

عاقبة الفساد في بني إسرائيل

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ إلى آية ٨.

ففي المرة الأولى غزاهم بخت نصر، وفي الثانية ملك من الروم، وحاصل قصة الأولى والثانية أن بني إسرائيل بعث الله تعالى فيهم نبياً اسمه شعيبٌ وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد ﷺ وكان لبني إسرائيل ملك كان شعيباً يرشده ويسدده فمرض الملك فاغتنم الملك سنحاريب ذلك فجاء غازياً بلاده فوصل إلى باب بيت المقدس بستمائة ألف راية فدعا الله سبحانه شعيباً فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب وجنوده إلا خمس نفر، منهم سنحاريب فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وبعد مدة هلك ملك بني إسرائيل فمرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضاً فقام شعيباً فيهم خطيباً ووعظهم بعظات بليغة وأمرهم ونهاهم فهموا بقتله فهرب فجاؤوا في طلبه ليقتلوه فلم يجد ملجأ إلا أن يدخل في شجرة فاحسوا به فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم فلما عتوا وأظهروا الفساد في الأرض سلط الله عليهم بخت نصر وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا يعرف له أب فظهر على بيت

المقدس واحرق التوراة وخرب المسجد والقى الجيف فيه وقتل منهم سبعين ألفاً وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى ذراريهم وأسر منهم سبعين ألفاً وذهب بالجميع إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة واستولى ملك من ملوك فارس مسمى بـ«كورش» فردهم إلى الشام وبنى المسجد لهم فبقوا ما شاء الله من السنين مما يزيد على المأتين فبطروا النعمة وعتوا عتواً كبيراً وأظهروا الفساد في الأرض بقتل يحيى بن زكريا كما ستعرف فسلط الله عليهم ملك الروم فقتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً وخرب بيت المقدس وبقي خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب أيام خلافته.

وكان سبب قتل يحيى بن زكريا هو كما روي في الدمعة الساكبة ما معناه: أن يحيى بن زكريا كغيره من سائر الأنبياء في تبليغ الرسالة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ملكاً كان على عهده لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتى تناول امرأة بغياً فكانت تأتيه حتى أسنت فلما أسنت هيأت ابنتها ثم قالت لها إني أُريد أن آتي بك الملك فإذا واقعك سألك ما حاجتك فقولي حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا فلما جاءت بها إليه أعجبته فواقعها فسألها عن حاجتها فقالت قتل يحيى بن زكريا فلما كان في الثالثة بعث إلى يحيى فجيء به فدعا بطشت فذبحه فيها وصبوه على الأرض فارتفع الدم وعلا فأقبل الناس يطرحون عليه التراب فعلا عليه الدم حتى صار تلاً عظيم ومضى ذلك القرن فلما كان من أمر ملوك الروم ما كان ورأوا ذلك الدم سألوا عنه فلم يجدوا أحداً يعرفه فدلوا على شيخ كبير فسألوه فقال أخبرني أبي عن جدي أنه كان من قصة يحيى كذا وكذا الدم دمه فقالوا لنقتلن عليه حتى يسكن فقتلوا حتى بلغت القتلى ما تقدم ذكره.

ـــ ٤٤ ـــ

أهل الكهف

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ .

وكانوا ستة نفر من أمثال أهل زمانهم عقلاً وعلماً وأدباً ومعرفة وبيتاً وكانوا جميعهم وزراء لملكهم المدعي للربوبية المعروف بـ (دقيوس) وأنهم يجتمعون في كل يوم عند واحد منهم وأسماؤهم تمليخا مكليمينا منشلينا مرنوس ديرنوس سادريوس، فاجتمعوا ذات يوم عند تمليخا فقال لهم: يا اخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني من الطعام والشراب والمنام فقالوا وما ذاك؟ فقال أطلت فكري في السماء فقلت من رفع سقفها محفوظة بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ومن أجرى فيها شمساً وقمراً آيتان مبصرتان ومن زينها بالنجوم ثم أطلت الفكر في الأرض فقلت من سطحها على صميم الماء الزخار ومن حبسها بالجبال أن تميد وأطلت فكري في نفسي من أخرجني من بطن أُمي ومن غذاني ومن رباني، إن لها صانعاً ومدبراً غير دقيوس الملك وما هو إلا ملك الملوك وجبار السماوات والأرض فقالوا جميعاً ونحن نرى ذلك فما ترى؟ فقال اعتزلوا دقيوس وقومه ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ فاتفقوا على ذلك وقام تمليخا وأخذ شيئاً من الدراهم في كمه وركب وأصحابه خيولهم وخرجوا من المدينة فلما ساروا ثلاثة أميال قال

لهم تمليخا يا إخوتاه قد جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا أنزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم ما شاء الله فاستقبلهم راع فقالوا : أيها الراعي هل من شربة من ماء أو لبن؟ فقال الراعي عندي ما تحبون ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هرابا من دقيوس الملك! قالوا : يا هذا لا يحل لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ قال نعم، فاخبروه بقصتهم فانكب على أرجلهم يقبلها ويقول يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ولكن امهلوني حتى أرد الأغنام على أربابها والحق بكم فتوقفوا له فرد الأغنام وأقبل يسعى يتبعه الكلب واسمه (قمطير) فخافوا الفضيحة بنباحه فطردوه بالحجارة فانطقه الله تعالى وقال ذروني حتى أحرسكم من عدوكم فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلاً فانحط بهم على كهف يقال له (الوصيد) فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنّهم الليل فآووا إلى الكهف فاوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله بكل رجل ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال وأوحى الله تعالى إلى خزان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال فلما رجع دقيوس من عيد له سأل عنهم فأخبر أنهم خرجوا هرابا فركب في طلبهم ثمانين ألف فلم يزل يقفو أثرهم حتى علا الجبال فانحط على كهفهم فلما نظر إليهم فإذا هم نيام فقال لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم ولكن ءأتوني بالبنائين فسد باب الكهف بالكلس والحجارة وقال لأصحابه قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء لينجينهم وأن يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل أن ينفخ فيهم الروح فنفخ فقاموا

من رقدتهم فلما أن بزغت الشمس قال بعضهم قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة إله السماء فقاموا فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست فقال بعضهم إن أمرنا لعجيب مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة ومسهم الجوع فقالوا ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ قال تمليخا لا يذهب في حوائجكم غيري فخرج متوجهاً نحو المدينة فرأى موضعاً لا يعرفها وطريقاً ينكرها حتى أتى باب المدينة وإذا علم أخضر مكتوب عليه (لا إله إلا الله عيسى رسول الله) فجعل ينظر إلى العلم ويمسح بعينه ويقول أراني نائماً ثم دخل إلى السوق فأتى رجلاً خبازاً قال أيها الخباز ما اسم مدينتكم هذه قال افسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن فقال ادفع لي بهذا الورق طعاماً فتناولها منه وجعل يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها فقال يا هذا أنت أصبت كنزاً فقال تمليخا ما هذا إلا ثمن تمر بعتها منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيوس الملك، فقال له الخباز هلم معي فجاء به آخذاً بيده حتى أدخله على الملك فقال ما شأن هذا الفتى؟ فقال له هذا رجل أصاب كنزاً فقال الملك: يا فتى لا تخف فإن نبينا عيسى أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلا خمسها فاعط خمسها وامض سالماً فقال تمليخا انظر أيها الملك في أمري ما أصبت كنزاً أنا رجل من أهل هذه المدينة فقال الملك أنت من أهلها؟ قال نعم قال فهل تعرف بها أحداً؟ قال نعم قال ما اسمك قال اسمي تمليخا قال وما هذا الأسماء أسماء أهل زماننا هل لك في هذه المدينة دار قال نعم اركب أيها الملك معي فركب والناس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة فقال هذا الدار لي فقرع الباب فخرج إليه شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر فقال ما شأنكم فقال الملك أتانا هذا

الغلام بالعجائب يزعم أن هذه الدار داره فقال له الشيخ من أنت قال تمليخا بن قسطيكين فانكب الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول جدي ورب الكعبة والتفت إلى الملك وقال أيها الملك هذا تمليخا وخمسة معه هم الستة الذين هربوا من دقيوس الملك فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه فقال الملك يا تمليخا وما فعل أصحابك فاخبر أنهم في الكهف وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهودي فركبوا في أصحابهم فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا : إني أخاف أن يسمع أصحابي صوت حوافر الخيل فيظنون أن دقيوس الملك قد جاء في طلبهم ولكن أمهلوني حتى أتقدم فأخبرهم فوقف الناس وأقبل تمليخا حتى دخل الكهف فلما نظروا إليه اعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجانا من دقيوس قال تمليخا دعوني عنكم وعن دقيوسكم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال تمليخا : بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وقرن بعد قرن وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم ورفعه الله إليه وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين قال تمليخا فما تريدون قالوا ادع الله جل ذكره وندعو معك حتى يقبض أرواحنا فرفعوا أيديهم فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس فأقبل الملكان يقفان على باب الكهف سبعة أيام فلم يهتدوا له، وقيل دخلوا عليهم كهفهم واطلعوا عليهم وجعلوا يسألونهم وأنهم في ذلك معهم إذ سقطوا ميتين فذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ولا شك فإن من قدر على أن يجعلهم نياماً كل تلك المدة المديدة وهم أحياء ثم يوقظهم، قادر أيضاً على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك.

ـــ ٤٥ ـــ

موسى والخضر

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ عن ابن عباس قال: أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فاوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى فكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل ثم انطلق، ففعل وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به فقال فتاه ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ الآية فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فرجعا يقصان آثارهما حتى أنتهيا إلى الصخرة فوجدوا رجلاً قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل فقال له موسى ومن أدراك من أنا ومن أخبرك أني نبي؟ قال من ذلك عليّ فقال له موسى آتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ﴿قَالَ

إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا فقال له موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فقال له الخضر ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبنا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً امراً قال ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ فلما خرجا من السفينة وجعلا يمشيان على الساحل وإذا هما بغلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله فقال له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ إلى آخر الآيات فإنها وافية بالقصة.

ـــ ٤٦ ـــ

ذو القرنين

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كان ذو القرنين عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله وناصح الله وناصحه، قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذانك قرناه وفيكم مثله ـ يعني نفسه عليه السلام ، سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ علما يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به حاجته «فاتبع سبباً» طريقاً واحداً في سلوكه في المسير إلى المغرب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ آخر العمران من جانب المغرب وهناك وجد قوما مشركين لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس فالهمه الله تعالى التخيير بين التعذيب أو التأديب بقوله تعالى ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ فقضي فيهم بقضاء الله تعالى فقال ما حكاه الله عنه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ فقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أشد من القتل

وهو النار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ سلك طريقاً آخراً ليؤديه إلى المشرق من مطلع الشمس فلما بلغه ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾- فليس في أرضهم جبل ولا شجرة ولا بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأسراب وإذا غربت تصرفوا في أُمورهم، فجاوزهم ذو القرنين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ ففهم الله ذا القرنين لغتهم كما فهم سليمان منطق الطير حيث ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه من كل شيء.

وعن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة ومأجوج أُمة كل أُمة أربعمائة أُمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر؟ إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح، قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت يا رسول الله وما الأرز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش إلا أكلوه ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ا هـ.

فمنوا بهم أولئك المجاورون لهم حتى من الله عليهم بمرور ذي القرنين بهم ففزعوا إليه شاكين فعالهم من الفساد قائلين ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾بعضاً من أموالنا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حائطاً يمنعهم من الاتصال بنا فقال ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ مما عرضتموه علي من أموالكم ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ برجال ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ سداً حاجزاً

لا يستطيعون له نقباً فابتدأ بالعمل فقال ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ فما زالوا يأتونه بذلك وهو يبني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ الجبلين ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ عليه بالنار فاوقدوا النار على ذلك الحديد ونفخوها بمنافخ الحدادين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ في منظره من الحمى واللهب وصار قطعة واحدة لزم بعضه بعضاً ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الشيء المذاب من النحاس والرصاص والحديد فصب الجميع على ذلك الحديد المحمي الملتهب فصار جداراً مصمتاً فكانت حجارته الحديد وطينته النحاس المذاب ونحوه من الرصاص وغيره فلما تم وكملت بنايته ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوا عليه ويصعدوه لعلوه وارتفاعه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته حيث أن ارتفاعه مائتا ذراع في عرض خمسين ذراع وموقع هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط فلما كمل قال ذو القرنين ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ نعمة من الله تعالى أنعم بها على عباده في دفع شر يأجوج ومأجوج.

وأن يأجوج ومأجوج لما رأوا السد جعلوا يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتح ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدم فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله تعالى عليهم نغفاً في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فسبحان القادر على كل شيء.

ـــ ٤٧ ـــ

يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

نزلت أوائل هذه السورة ليلاً والنبي ﷺ في غزوة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حوله فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام والناس بين باك أو جالس حزين متفكر فقال رسول الله ﷺ أتدرون أي يوم ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول من كم كم فيقول الله عزَّ وجل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول الله؟ فقال أبشروا فإن معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، ما أنتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود أو كرقم في ذراع البكر أو كشامة في جنب البعير ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا

ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال ﷺ : إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة فكبروا وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي ثم قال ويدخل الجنة من امتي سبعون ألفاً بغير حساب، فقام بعض أصحابه وقال يا رسول الله سبعون ألف قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً فقام عكاشة بن محصن وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ سبقك بها عكاشة.

ـــ ٤٨ ـــ

النبي وعشيرته

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾.

في الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب وقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الشراب والطعام ثم انذرهم ﷺ فقال يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عزَّ وجلَّ والبشير فاسلموا واطيعوني تهتدوا ثم قال من يؤاخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم فاعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عليه السلام أنا فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب اطع ابنك فقد أمر عليك وصعد ﷺ على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت

إليه قريش فقالوا مالك؟ فقال ارأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ الآية.

— ٤٩ —

أهل الافك

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة بني المصطلق فخرج فيها سهمي وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى فرغ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدرتي فإذا عقد عن جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركبه وهم يحسبون أني فيه فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت إلى منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إلي، فبينا أنا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق

يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في حر الظهيرة فهلك من هلك فيَّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت شهراً والناس يغيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك رسول الله ﷺ يرثيني في وجعي غير أني لا أعرف منه اللطف الذي كنت أعرفه حين اشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أُم مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف وامرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأُم مسطح وأُمها بنت صخر بن عامر خالة أبي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح، فقلت: لها بئس ما قلت؟ أتسبين رجلاً قد شهد بدراً فقالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم قال كيف تيكم أي حالكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا أُريد أن أتيقن الخبر من قبله فأذن لي رسول الله فجئت أبوي وقلت لأمي يا أُماه ماذا يتحدث به الناس؟ فقالت: بنية هوني عليك فوالله أقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أوقد يحدث الناس بهذا؟ قالت: نعم فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فأصبحت وأنا أبكي فلم أزل حتى أنزل الله على نبيه وأخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي فلما سرى عن رسول الله ﷺ قال أبشري يا عائشة أما والله فقد برأك.

ـــ ٥٠ ـــ

الملاعنة

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ .

عن ابن عباس قال: قال سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ يا رسول الله لو أتيت لكاعا وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن اهيجه حتى أتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي والله إني لأعرف من الله تعالى وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال فإن الله يأبى إلا ذاك فقال سعد صدق الله ورسوله.

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال ابن أمية من حديقة له قد رأى رجل من أمرأته فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال إني جئت أهلي عشاء فوجدت معها رجلاً رأيته بعيني وسمعته بإذني فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى الكراهية في وجهه فقال هلال إني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم أني لصادق وإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً

فهم رسول الله بضربه فاجتمعت الأنصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا من الكلام حين عرفوا أن الوحي قد نزل فأنزل الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآيات فقال رسول الله أبشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل فرجاً فقال قد كنت أرجو ذاك من الله تعالى فقال: أرسلوا إليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرق بينهما.

وهذا من أقل موجبات الزنا الذي هو من أعظم الفساد في الأرض ولذا كانت عقوبته أشد من غيره من سائر الموبقات، فإن الزاني المحصن يرجم وغيره يجلد مأة جلدة علانية بدون أي رأفة وفي الآخرة من أصحاب النار.

ومولوده خبيث سيء المحضر هو إلى الشر أقرب منه إلى الخير ومن أظهر علاماته بغضه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال المستنصر العباسي:

قسماً بمكة والحطيم وزمزم ... والراقصات وسعيهن إلى منى
بغض الوصي علامة معروفة ... كتبت على جبهات أولاد الزنا
من لم يوالي في البرية حيدراً ... سيان عند الله صلى أم زنا

وقالت أُم المؤمنين عائشة:

إذا التبر حُك على محك ... تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى ... علي بيننا شبه المحك

ـــ ٥١ ـــ

الظالم

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾.

قال ابن عباس نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ في عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وكانا متخالفين كل خليل للآخر، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً ودعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعى الناس فدعى رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال صبأت إلى دين محمد يا عقبة قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن أُطعمه من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال إني ما كنت براض عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فرجع بزاقه في وجهه فاحرق خده فارتد عدو الله وأخذ رحم دابة فالقاها بين كتفي النبي ﷺ فقال النبي لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب

عنقه يوم بدر صبراً وأما أُبي بن خلف فقد قتله النبيﷺ يوم أحد بيده في المبارزة.

وقيل: إن الآية نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى، وقال أبو عبد الله عليه السلام ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت الآية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار تجري في من بعده إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

ـــــ ٥٢ ـــــ

الرس

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن من قصة أصحاب الرس أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها «شاه درخت» كان يافث بن نوح غرسها على عين ماء يقال لها «روشاب» كانت انبعت لنوح بعد الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود وكانت لهم إثنا عشر قرية على شاطيء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق «بهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا ترى أكثر ولا أعمر منها فسمي احداهن (ابان) والثانية (آذار) والثالثة «دي» والرابعة «بهمن» والخامسة «اسفندار» والسادسة «فروردين» والسابعة «ارديبهشت» والثامنة «خرداد» والتاسعة «مرداد» والعاشرة «تير» والحادي عشر «مهر» والظانية عشر «شهر يور» وكانت أعظم مدائنهم اسفندار وهي التي ينزلها ملكهم ويسمى تركوز بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وبها عين الصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت

وصارت الحبة شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والأنهار ولا يشربون منها ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتنا ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل قرية من كل شهر من السنة عيداً يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتوه بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خروا سجداً للشجرة يبكون ويتضرعون إليها أن ترضي عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها الصبي أني قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عيناً فيرفعوا رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدست بند فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون وإنما سمت العجم شهورها بآبان ماه وآذر ماه وغيرهما اشتقاقا من أسماء تلك القرى يقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه أنواع الصور، له إثنا عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للشجرة خارجاً من السرادق ويقربون لها من الذبائح أضعاف ما يقربون للشجرة التي في قراهم فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً ويعدهم ويمنيهم بأكثر ما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثنى عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله عزَّ وجل وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه إليهم نبياً من

بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عزِّ وجل ومعرفته وربوبيته فلا يتبعونه فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم فهالهم ذلك وفظع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول من إله السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه وفرقة قالت لا بل غضب آلهتكم حين رأت هذا الرجل بعينها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا عليه فتنتصروا منه فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيباً طوالاً من رصاص واسعة الأفواه ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل اليراع ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم والقموا فاها حجرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأت أنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت تراب كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان فبقوا يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعفي وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات فقال الله تعالى لجبرئيل يا جبرئيل أيظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي، وأمنوا مكري، وعبدوا غيري، وقتلوا رسولي، أن يقوموا لغضبي، ويخرجوا من سلطاني، كيف وأنا المنتقم ممن عصاني، ولم يخش عقابي، وإني حلفت بعزتي لأجعلهم عبرةً ونكالاً للعالمين، فلم يدعهم وهم في عيدهم ذلك إلا بريح

عاصفة شديدة الحمرة فتحيروا فيها، وذعروا منها، وتضام بعضهم إلى بعض، ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقير جمراً يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص، فنعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ـــ ٥٣ ـــ

سليمان وبلقيس

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

إن سليمان بن داود عليه السلام كما ذكر الله تعالى آتاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فسخّر له الجن والأنس والطير وجميع ما خلق الله وسخّر له الريح تجري بأمره ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ وكانت الطيور تظله عن الشمس كل في مركزه وعلى نوبته وأن الهدهد لما أخلى بمركزه ونزلت الشمس على سليمان من موضعه رفع رأسه وقال مالي لا أرى الهدهد الآية فأرسل خلفه من يطلبه فجيء به فلما مثل بين يديه ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وذكر له خبر الملكة بلقيس وما هي فيه من الملك والعقيدة فكتب سليمان كتاباً، نصه: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ ودفعه إلى الهدهد وقال ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾استتر عنهم قريباً منهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ماذا يردون من الجواب فمضى الهدهد بالكتاب فآتاها وهي مستلقية فالقاه على صدرها فقرأته وقامت من فورها وجمعت الأشراف من قومها لتأخذ رأيهم فلما أخبرتهم ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ

﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ بالصلح أو القتال فعرضت في جوابهم بترك القتال مذكرة لهم ما يؤول إليه أمره ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ أهلكوا أهلها وخربوها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ ورأت أن تصانع سليمان جرياً على عادة الملوك حتى يتبين لها أنه ملك أو نبي فجهزت هدية ثمينة عظيمة جاء في وصفها أنها تشتمل على خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وخمسمائة لبنة من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع وحقاً فيه درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب ودعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت إليه كتاباً بنسخة الهدية وقالت إن كنت نبياً فميز بين الوصيف والوصائف واخبر بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقباً مستوياً وادخل الخرزة خيطاً من غير علاج أنس ولا جن وقالت للرسول: انظر إليه إن دخلت عليه فإن نظر إليك نظرة غضب فلا يهولنك أمره فأنا أعز منه وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا وسبقه الهدهد مسرعاً وأخبر سليمان فأمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب ولبنات الفضة وأن يجلعوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد على سريره الذي لم يصنع مثله لأحد من الملوك بداية ونهاية ووضع له أربعة آلاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ وأمر الإنس والجن فاصطفوا فراسخ وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك

سليمان تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من هدايا الذهب والفضة فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين ألحقة؟ فأتاه بها فحركها وجاءه جبرائيل وأخبره بما فيها قائلاً إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها وخرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء أنا يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط فدخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر وكانت الجوار الخمسمائة المرسلة في الهدية قد لبسن لباس الغلمان ولبس الغلمان لباس الجوار وطلبت بلقيس أن يميز بينهم فأمر الجميع بغسل وجوههن وأيديهن فكان الغلام يصب الماء على ظهر ساعد اليد والجارية على باطنه وبذلك ميز بين الجميع.

ثم قال سليمان للرسول ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ارجع إليهم بما جئت به من الهدايا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ فرجع الرسول فأخبرها بما رأى فحق لديها أنه نبي وأنها لا تقاومه فتجهزت للمسير إليه طائعة وأخبر جبرئيل سليمان أنها خرجت من اليمن مقبلة إليه فقال سليمان لأماثل جنده وأشراف عسكره ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ وخص عرشها بالذكر ليجعل ما هو عين مملكتها دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوته لأنها خلفته في دارها وأوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ من مجلسك الذي تقضي فيه وكان سليمان يجلس للقضاء غدوة

إلى نصف النهار فقال سليمان أُريد أسرع من ذلك فعند ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فقال له سليمان إفعل فسأل الله تعالى في ذلك بالإسم الأعظم فحضر العرش فرآه سليمان مستقراً عنده ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ موضوعاً بين يديه في مقدار رجع البصر ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ ثم قال ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ غيروا لها سريرها على حالة تنكرها إذا رأته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد أم لا فغير ما كان منه أحمر فجعل أخضر وبالعكس وازدادوا فيه وأنقصوا منه ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فقيل لها فإنه عرشك فما أغناك اغلاق الأبواب وكانت خلفته وراء سبعة أبواب ولقد دل جوابها على كمال عقلها فإنها إن قالت هو خشيت الكذب لما رأت فيه ما تنكره وما لا تعرفه أولاً والاتيان به من وراء هذه الأبواب وهذه السرعة ما لا يدخل تحت قدرة البشر ثانياً وإن قالت لا ليس هو خشيت الكذب أيضاً فإنها وجدته عين عرشها إذ وجدت فيه ما تعرفه منه.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ وهو البناء المنبسط كالسطح المنكشف من غير سقف عمله سليمان ممرداً من قوارير مجوفاً وأجرى تحته الماء المملوء بالحيتان والضفادع ودواب البحر ليختبر عقلها وما قالته فيه فإنهم أساءوا القول فيها مخافة أن يتزوجها فلا ينفكون تسخير سليمان وذريته لأن أُمها جنية ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ بحراً ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فقال لها سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فحسن إسلامها.

وفي الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام أنه أجاب عن سؤال أكان سليمان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب أم أن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف لكنه عليه السلام أحب أن تعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده وذاك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.

ـــ ٥٤ ـــ

قارون

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

كان قارون ابن عم موسى لحاً لأنه ابن يصهر بن فاهث وموسى ابن عمران بن فاهظ وكان يسمى المنور ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة وكان معدوداً من أماثلهم ولكنه بغى وطغى لما استغنى فإنه أصاب كنزاً من كنوز يوسف، وقيل أنه كان يعمل الكيمياء وعلى كل فقد بلغت أمواله ما حكاه الله تعالى عنها بقوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة الجماعة يتعصب بعضهم لبعض وأقل ما قيل فيها من الثلاثة إلى العشرة فنهاه قومه من بني إسرائيل عن بغيه وبطره واشره بقولهم ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ فلم يعبأ بهم وبمواعظم ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ التي يتزين بها وحشمه وتبعه في أربعة آلاف دابة عليها أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم إلا رجوان وقيل في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أُرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب أو في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات على رواية ثالثة فتمنى الكفار والمنافقون وضعيفوا الايمان بما وعد الله تعالى منزلته وقالوا ﴿يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو

حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ونهاهم المؤمنون المصدقون بوعد الله تعالى قائلين لهم ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

فما مضت الليال والأيام القليلة إلا وأولئك الذين تمنوا منزلته وأمواله يحمدون الله على العافية مما أوتي وذلك حين خسف الله به وبداره الأرض وسبب ذلك أن قارون لم يكفه ما هو فيه من التيه والكبر والبطر بما أنعم الله عليه حتى تعرض لكليمه موسى بن عمران وجاءت الرواية هكذا عن السدي قال دعا قارون أمرأة من بني إسرائيل بغياً قال لها إني أعطيك الفين على أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولي يا بني إسرائيل مالي ولموسى قد آذاني. قالت: نعم، فأعطاها خريطتين عليها خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت إن قارون قد اعطاني هاتين الخريطتين على أن آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله تعالى فاوحى الله إليه أني أمرت الأرض أن تعطيك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو عل سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحمة فقال خذيه فأخذته حتى غيب قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم أخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحمة ثم أخذته حتى غيبته.

فاوحى الله إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لو إياي دعا واستغاثني لأغثته.

فقال بنو إسرائيل إنما فعل ذلك موسى عليه السلام ليرث أمواله لأنه ابن عمه فخسف الله بداره وبجميع أمواله الأرض وبرأه مما قالوا.

ـــ ٥٥ ـــ

لقمان الحكيم

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ . :

كان لقمان الحكيم عبداً مملوكاً فعتق وكان متصفاً باوصاف كان أثرها أن آتاه الله الحكمة وأصبح سيداً بعد أن كان مسوداً وقد الممنا بكثير من حياته وما جاء عنه من المواعظ والحكم في كتاب مستقل سميناه باسمه وقد طبع قبل عامين.

فمن تلك الأوصاف الموجبة له تلك المنزلة العالية أنه عليه السلام كان كثير الصمت إلا في خير ولا يعرف منه غير الهدوء والوقار والسكينة وكان قوياً في أمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم متورعاً في الله مستكيناً إلى جنبه عميق النظر طويل الفكر مستعبراً بالعبر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد من الناس على بول أو غائط أو اغتسال لشدة تستره وعمق نظره وتحفظه في أمره ولم يضحك من شيء مخافة الإثم ولم يغضب قط ولم يفرح بشيء إن أتاه من أمر الدنيا ولم يحزن على شيء فاته منها ولم يبك على شيء ذهب من يده من الدنيا قط حتى على موت أولاده بل كان كثير البكاء من خشية الله ولم يمر برجلين يتخاصمان إلا أصلح بينهما ولم يفارقهما حتى يتحابا يتوادا وكذا لو مر برجلين يقتتلان لم يمض عنهما حتى يتحاجزا ولم يسمع

من أحد قولاً استحسنه إلا سأله عنه وعن تفسيره وعمن أخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله عزَّ وجل وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان وكان يداوي قلبه بالفكر ويداوي نفسه بالعبر وكان لا يتكلم إلا فيما يعنيه فبذلك أوتي الحكمة ومنح العصمة حيث أمر الله سبحانه وتعالى طوائف من الملائكة أن تناديه وتوحي إليه أن الله تبارك وتعالى اختاره خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق وقد كان ذلك عند انتصاف النهار ووقت القائلة لما هدأت العيون ونامت الأبصار حيث كان الوقت صائفاً وكان مما نادته به حيث يسمع ولا يرى: «يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس» فكان الجواب منه إن خيرني ربي قبلت العافية وإن أمرني الله عزَّ وجلَّ وعزم عليّ فالسمع والطاعة لأنه إن فعل ذلك بي أعانني عليه وعصمني وعلمني. فقالت له الملائكة: لم قلت ذلك؟ قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدنيا وأكثر فتناً وبلاءً لما يخذل ولا يعان ويغشاه الظلم من كل مكان فصاحبه فيه بين أمرين إن أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم وإن أخطأ، أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضيعاً كان أهون عليه في المعاد أن يكون سرياً شريفاً ومن اختار الدنيا على الآخرة خسرهما كلتيهما تزول هذه ولا تدرك تلك فتعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه.

فلما أمسى المساء وأخذ لقمان مضجعه من الليل أنزل الله تعالى عليه الحكمة وغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم وغطي بالحكمة غطاء استيقظ منه فلما استيقظ من نومته وإذا هو أحكم الناس وخرج عليهم

ينطق بالحكمة فكل من سمع كلامه أثبتها فيه فاشتهر أمره وشاع ذكره فكان الطبيب المداوي للقلوب والأب الروحاني لكل من اتصل به وعمت إفاداته كثيراً من الناس فكان الهداة من أهل زمانه يأتون إليه فيستفيدون منه ويأنسون بمنطقه ويستريحون بحديثه فيكثرون من أجل ذلك مجالسته، ولا يُدع فإنه المحي للقلوب.

قيل له ذات يوم ألست عبداً لآل فلان قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى فقال صدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعني وغضي بصري وكفي ولساني وعفتي في بطني وطعمتي فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد عليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي.

ـــ٥٦ـــ

الرجاء الفاشل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾.

نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي فإنهم قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد بأمان رسول الله ﷺ ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله ابن سعد بن أبي سرح وطعمة بن ابيرق، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ارفع ذكر آلهتنا اللات والعزى وقل أن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي ﷺ فقال بعض أصحابه: أأذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان وأمر بإخراجهم من المدينة فأُخرجوا ونزلت الآية: ولا تطع الكافرين من أهل مكة أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن أبي وابن سعد وطعمة.

ومن أحد الفريقين أبو معمر الفهري كان لبيباً حافظاً لما يسمع، وكان يقول إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل

محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم أبو معمر وتلقاه أبو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده إحدى نعليه والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بال أحد نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعرفوا بيومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

ـــ ٥٧ ـــ

غزوة الخندق

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾.

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من أصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن أخطب في جماعة من بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾.

فسر قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه فاجمعوا لذلك وأعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشاً قد

بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من أشجع وكتبوا إلى حلفائهم من أسد فأقبل طليحة في من اتبعه من أسد وهم حلفاء غطفان وكتبت قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل أبو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار عليه بذلك سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر قال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله والمسلمون حتى أحكموه.

فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما روي أن رسول الله ﷺ خط الخندق في عام الأحزاب أربعين ذراعاً بين عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقالت الأنصار سلمان منا وقالت المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت. قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار نقطع أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله وأخبره عن الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وأما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه فرقي سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق وأخذ المعول

وضرب به ضربة فلمعت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضرب ضربة أُخرى فلمعت برقة أُخرى ثم ضرب الثالثة فلمعت برقة أُخرى، فقال سلمان: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى فقال أما الأولى فإن الله عزَّ وجل فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله تعالى فتح عليَّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله تعالى فتح عليَّ بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق.

وعمل رسول الله ﷺ في حفر الخندق حتى وارى التراب بياض بطنه فهو يعمل ويقول:

لا هـم ولا أنـت مـا اهـتـديـنـا	ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا
فـأنـزلـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا	وثـبـت الأقـدام إن لاقـيـنـا
إن الاذلاء قـد بـغـوا عـلـيـنـا	إذا أرادوا فـتـنـة أبـيـنـا

ويمسه الجوع حتى يربط على بطنه حجر المجاعة، وقد روي كذلك مراراً، فمنها ما روي عن جابر أنه رآه كذلك فجاء إلى أهله فقال رأيت الحجر على بطن رسول الله ﷺ وأظنه جائعاً فلو أصلحنا هذا الشعير وهذه الشاة ودعونا رسول الله إلينا كان لنا قربة عند الله تعالى قالت فأذهب فأعلمه فإن أذن فعلناه. فذهبت إليه وقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل غداءك اليوم عندنا قال وما عندك قلت صاع من شعير وشاة قال أفأصير إليك مع من أحب أو أنا وحدي فكرهت أن أقول أنت وحدك قلت بل مع من تحب وظننته يريد علياً بذلك، فرجعت إلى أهلي وقلت أصلحي أنت الشعير وأنا أُصلح الشاة فلما فرغنا من ذلك جعلنا الشاة كلها قطعاً في قدر واحد وماءً وملحاً وخبزت أهلي ذلك الدقيق فصرت إليه وقلت يا رسول الله قد أصلحنا ذلك فوقف على شفير الخندق ونادى

بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أجيبوا دعوة جابر فخرج جميع المهاجرين والأنصار وخرج النبي والناس خلفه ولم يكن يمر بملأ من المدينة إلا قال أجيبوا دعوة جابر فأسرعت إلى أهلي وقلت قد أتانا رسول الله بما لا قبل لنا به وعرفتها خبر الجماعة فقالت ألست قد عرفته ما عندنا قلت بلى فقالت لا عليك رسول الله أعلم بما يفعل فكانت أهلي أفقه مني فأمر رسول الله ﷺ الناس بالجلوس خارج الدار ودخل هو وعلي فنظر إلى التنور والخبز فيه وكشف القدر ونظر فيها ثم قال للمرأة أقلعي من التنور رغيفاً رغيفاً وناوليني واحداً بعد واحد فجعلت تقلع وتناولها وهو وعلي يثردان في الجفنة ثم تعود المرأة إلى التنور فتجد مكان الرغيف الذي قلعته مثله فلما امتلأت الجفنة بالثريد غرف عليها من القدر وقال يا جابر هات الذراع فاتيته به ثم ادخل عليَّ عشرة من الناس فدخلوا وأكلوا وشبعوا ثم قال يا جابر هات الذراع فاتيته به وقال أدخل عليَ عشرة من الناس فدخلوا وأكلوا وشبعوا والثريد بحاله ثم قال هات الذراع فأتيته به وقال أدخل عليَّ عشرة من الناس فدخلوا وأكلوا وشبعوا والثريد بحاله ثم قال هات الذراع فقلت يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال ذراعان قلت قد أتيتك بثلاثة فقال لو سكت الأكل الناس كلهم من الذراع فلم يزل يدخل عشرة عشرة ويخرج عشرة عشرة حتى أكل الناس جميعاً ثم قال تعالَ حتى نأكل نحن وأنت فاكلنا وشبعنا والخبز في التنور لم يتغير واللحم في القدر لم ينقص منه شيء.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين وجعل

جبل سلع إلى خلفه وضرب هناك معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل وأن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا إن هذه والله لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم يمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش يعد بألف فارس وكان يسمى فارس بليل لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه أمضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه فعرف بذلك وأنه لما طفر الخندق يوم الأحزاب كان ينادي من يبارز فقام علي عليه السلام وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال إنه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل وهو يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام إليه علي عليه السلام وقال أنا له يا رسول الله ثم نادى عمرو الثالثة وقال:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز
أن السماحة والشجا عة في الفتى خير الغرائز

فقام علي عليه السلام وقال يا رسول الله أنا فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرواً فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن له والبسه درعه ذات الفضول وأعطاه سيفه ذا الفقاروعممه عمامته السحاب ثم قال له تقدم فلما ولى قال صلى الله عليه وآله اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ومن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه فمشى إليه صلوات الله عليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها حتى الهزاهز

فقال له عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أُهريق دمك فقال علي عليه السلام لكني والله ما أكره أن أُهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها واثبت السيف في رأسه عليه السلام فشجه وضربه علي عليه السلام على حبل العاتق فسقط واقعاً على قفاه وثارت بينهما عجاجة وسمع علي يكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قتله والذي نفسي بيده فابتدر بعض الأصحاب العجاج فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو فكر راجعاً وقال يا رسول الله قتل علي عمرواً وحز علي رأس عمرو وأقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمرو بن الخطاب هلاَّ استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت من ابن عمي أن استلبه.

فقال النبي ﷺ أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا دخله عز بقتل عمرو وخرج أصحاب عمرو منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى في جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلي أجمل من هذه ينزل إلي أحدكم أقاتله فطعنه علي عليه السلام في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق فبعث المشركون إلى ر سول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي ﷺ هو لكم لا نأكل ثمن الموتى وقال علي عليه السلام أبياتاً في شأنه مع عمرو منها :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ⁂ ونصرت رب محمد بصواب

فضربته وتركته متجدلاً ⁂ كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو أنني ⁂ كنت المقصر بزني أثوابي

وانصرف النبي مع المسلمين من الخندق وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام .

— ٥٨ —

بني قريظة

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦﴾.

لما انصرف رسول الله ﷺ مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللامة تبدّى له جبرئيل وقال عذيرك من محارب، إني أراك قد وضعت عنك اللامة وما وضعناها بعد، فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة فلبس الناس السلاح وبعث علي بن أبي طالب عليه السلام على المقدم ودفع إليه الراية وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم فمر على مجلس الأنصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فقال: هل مر بكم الفارس آنفاً؟ فقالوا مر بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك بدحية ولكنه جبرئيل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب، وسار علي حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله وجاء ﷺ حتى دنا من حصونهم فقال: يا إخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته فقالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان

حي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت إليه قريش وغطفان فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم، قالوا: ما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم عن هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك ولم نترك ورائنا نسلاً يهمنا وإن نظهر لنجدن النساء والأبناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم قال فإذا أبيتم عن هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا نفسد سبتنا ونحدث ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته أُمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

ولما اشتد بهم البلاء لطول الحصار قالوا يا محمد حكم فينا رجلاً من أصحابك فقال لهم رسول الله ﷺ اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله بسلاحهم فجعل في قبة وأمر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار أُسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وكان مريضاً فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم أموالهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال للأنصار إنكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله ﷺ وقال لسعد لقد

حكمت فيهم بحكم الله عزَّ وجل فقتل رسول الله مقاتليهم وكانوا أربعمائة وخمسون رجلاً وسبى سبعمائة وخمسين وقالوا لكعب الآنف الذكر وهم يذهب بهم إلى رسول الله ارسالاً ما ترى يا كعب يصنع بنا؟ فقال: أوفي كل موطن تقولون ألا ترون أن الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتى يحيى بن اخطب عدو الله عليه حلة فاختية مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ قال أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ثم قسم رسول الله ﷺ نساءهم وأبنائهم وأموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله إلى خيمته إلتي ضربت له في المسجد وأنه حين توفي نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ فخرج رسول الله فإذا سعد بن معاذ قد قبض فمشى في تشييعه وصلى عليه ونزل في قبره فلما صلى عليه قال لقد وافى من الملائكة سبعون ألف ملك وفيهم جبرئيل يصلون عليه فقلت يا جبرئيل بم استحق صلاتكم عليه فقال بقراءته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ قاعداً وقائماً وماشياً وراكباً وجائياً وذاهباً.

ـــ ٥٩ ـــ

النبي وأزواجه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾.

قال المفسرون أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً فصعد إلى غرفة له فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغذى ويتعشى فيها نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ وكن يومئذ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأُم سلمة بنت أبي أمية، فهؤلاء من قريش وصفية بنت حي الخيبرية، وميمو نة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية. وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

ـــ ٦٠ ـــ

الكساء

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وعائشة وأُم سلمة أن الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والقصة في ذلك ما رواه الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن أُم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنتيك فجاءت بهم فطعموا فالقى عليهم كساء خيبرياً ودخل معهم ثم أخرج يده فاومى بها إلى السماء وقال اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجل وطهرهم تطهيرا فادخلت رأسي في البيت وقلت أنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير فأنزل الله تعالى عليه آية التطهير مقيدة بأداة الحصر كما ترى.

وروى الطريحي النجفي: حديث الكساء في منتخبه بصورة مطولة مشتملة على كثير من الفضائل لأهل البيت عليهم السلام يجمل ذكره في كل محفل من محافل محبيهم حيث هو من الصحة بمكان، ومن الطريف أن هناك قوم ينكرونه ليس لهم حجة إلا صرف الاستبعاد وهو عناد للرشاد.

ـــ ٦١ ـــ

زينب بنت جحش

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت أنا ابنة عمتك فلم أكن لأفعل وكذلك قال أخوها عبد الله ابن جحش فنزل: وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني اخته زينب، فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله زيداً فدخل بها وساق إليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

وشاء الله تعالى أن يطلقها زيد لمشاجرة وقعت بينهما أدت إلى ذلك فإن زيداً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له أُريد أن أطلق زينب فقال له النبي ﷺ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ولا تطلقها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في مفارقتها ومضارتها وكان النبي ﷺ قد أضمر أن يتزوجها إن طلقها زيد مخافة

عليها من الضيعة كما هو شأن ذوي المروة مع أقاربهم وأرحامهم فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من إيثار ضمها إلى نفسه:

فلما وقع طلاقها وانقضت عدتها نزل قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فجاء رسول الله ﷺ فدخل بها بالعقد الإلهي واولم وليمة ما أولمها لإمرأة من نسائه فقد أطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وأنه ﷺ لما تزوج زينب قال أُناس إن محمداً تزوج امرأة ابنه فنزل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلدهم وفي هذا بيان أنه ﷺ ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الإبن معلق بثبوت النسب ولم تكن بنوة زيد للنبي بنوة نسبية بل ادعائية جرياً على قاعدة العرب فإنهم ينزلون الادعياء منزلة الأبناء في الحكم فاراد ﷺ أن يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية، فكانت زينب بعد أن تزوجها رسول الله ﷺ تفتخر على نسائه وتقول زوجني الله من النبي وانتن إنما زوجكن أولياؤكن ولم تكن زينب الوحيدة في ذلك فقد سبقتها حواء فإن الله تعالى هو الذي زوجها من آدم ولحقتها فاطمة الزهراء عليها السلام فإن الله تعالى زوجها من أمير المؤمنين عليه السلام في السماء قبل أن يزوجها أبوها منه في الأرض.

ـــ ٦٢ ـــ

بناء بيت المقدس

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾.

المحاريب بيوت الشريعة أو القصور والمساجد يتعبد فيها وكان مما عملوه ببيت المقدس.

وسبب بنائه هو أن الله عزَّ وجل سلط على بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعوا إلى الله لعل الله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق صخرة فيه فخر ساجداً يبتهل إلى الله تعالى وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفع الله داود في بين إسرائيل جمعهم بعد ثلاث وقال لهم: إن الله تعالى قد منَّ عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل له الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ مائة وسبع وعشرون سنة فاوحى الله إلى داود أن تمام بنائه على يدي سليمان فلما صار داود ابن مائة وأربعون سنة توفاه الله واستخلف ابنه سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال وخص كل طائفة

منهم بعمل فجاؤوا بالرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطا من الأسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحر فأتى بشيء من ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللئالي فجعلوها كيفما يريد، وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمّده بأساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر وفصص سقوفه وحيطانه باللئالي واليواقيت والجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان ينير في الليلة المظلمة كالقمر ليلة البدر ولما فرغ من بنائه تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلا فتحت الأبواب ففتحت، فجمع أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أن الله تبارك وتعالى هو الذي بناه واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً وفرغ له عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار، فلا تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا ويعبد الله فيها.

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق.

ومن التماثيل التي كانوا يعملونها له ما صوروا له من السباع والبهائم

على كرسيه ليكون أهيب له فإنهم صوروا له أسدين أسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظللاه من الشمس مما لا يكاد يعرفه أحد من الأولين والآخرين.

فلما دنا أجله لم يفده ما أوتي من القدرة شيء وكان كغيره من سائر المخلوقين فسبحان من تفرد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء.

ـــ ٦٣ ـــ

سبأ وسيل العرم

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ الآية.

المراد بسبأ: هاهنا القبيلة الذين هم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان كانت ديارهم على وتيرة واحدة تحفها البساتين عن يمينها وشمالها متصل بعضها ببعض وكان من كثرة النعم أن المرأة تمشي وعلى رأسها المكتل فيمتليء بالفواكه من غير أن تمسها ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الحق ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله بغياً وعتواً فغير الله ما بهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطب والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذبوا رسلهم وتركوا أمر الله بعث الله جرذاً نقبت ذلك الردم ففاض الماء فاغرقهم.

وذكر الدميري في مادة الجرذ من كتابه حياة الحيوان، إن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدي وكان سيدهم وكان قد رأى في المنام كأنه انشق عليه الردم فسال الوادي فأصبح مكروباً فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى

أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إلى ذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله وقد أذن الله بالهلاك ثم أنه عمد إلى هرة فأخذها وأتى إلى الجرذ فصار يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة فقال عمرو لأولاده احتالوا لأنفسكم فقالوا يا أبتِ كيف نحتال؟ فقال إني محتال لكم بحيلة قالوا افعل فدعا أصغر بنيه وقال له: إذا جلست في المجلس واجتمع الناس على العادة وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه فإني آمرك بأمر فتغافل عنه فإذا شتمتك فقم إلي والطمني ثم قال لأولاده فإذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم فإذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه ولا يتكلم فاحلف أنا يميناً لا كفارة أن لا أُقيم بين أظهر قوم قام إلي اصغر بني فلطمني فلم يغيروا، قالوا: نفعل ذلك. فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره فلها عنه فشتمه فقام إليه ابنه فلطم وجهه فتعجب الجماعة من جرأة ابنه عليه وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رؤوسهم فلما لم يغير أحد منهم قام الشيخ وقال: أيلطمني ولدي وأنتم سكوت ثم حلف يميناً لا كفارة له أن يتحول عنهم ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه؟ فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا: ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون فذاك الذي منعنا. فقال قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم أنه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيراً حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل فاحتمل انعامهم وأموالهم وضرب ديارهم وما مثل ذلك من الظالمين ببعيد وكم رؤي الفيضان في كثير من البلدان بما كسبت أيديهم.

ـــ ٦٤ ـــ

في انطاكية

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قالوا: بعث عيسى بأمر الله تعالى رسولين من الحواريين إلى مدينة إنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب فسلما عليه فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ قالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية: قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله. فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين. قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً وفشى الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهي الخبر إليه فدعاهما؛ فقال لهما: من أنتما؟ قالا: نحن رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. فقال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك فقال: قوما حتى انظر في أمركما فلما خرجا اخذهما الناس في السوق وضربوهما وأنهما قبل اتصالهما بالملك وقد طالت مدة إقامتهما في بلدة رأياه خارجاً ذات يوم فكبرا وذكرا الله سبحانه فغضب الملك

وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مأة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا وحبسا بعث عيسى شمعون الصفار رأس الحواريين على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به واكرمه فقال له شمعون ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما؟ فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له فقال لهما وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك، فقال شمعون للملك أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولآلهك شرفاً فقال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين أن قدر إلهكما على احياء ميت آمنا به وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شيء فقال أن لي ولداً قد مات منذ سبعة أيام فجاؤا إلى قبره فجعلا يدعوان الله تعالى علانية وشمعون يدعو سراً فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه ويقول لهم إني قدمت منذ سبعة أيام وأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك دعاه إلى الله فآمن، وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون.

ثم قال الملك لولده يا بني ما حالك؟ قال كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحييني، فقال يا بني أفتعرفهما إذا رأيتهما؟

قال: نعم فأمر أن يخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر على أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ثم مر الآخر فقال هذا الآخر فعرفهما وأشار بيده إليهما.

وقيل: بل أزداد الملك كفراً وأجمع هو وقومه على قتل الرسل ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

ـــ ٦٥ ـــ

الذبيح

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

حج الخليل إبراهيم مع ابنه إسماعيل حتى بلغ معه السعي وعزم على انفاذ أمر ربه استشاره في ذلك فأجابه بما حكاه الله عنه من الإجابة والرضا والتسليم فقال له: يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال: يا أبتِ اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح من دمي شيء فتراه أُمي واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل به ذلك وأضجعه على جنبه وإنه في ذلك إذ أقبل شيخ فقال إبراهيم ماذا تريد من هذا الغلام؟ قال: أُريد أن أذبحه فقال: سبحان الله تريد أن تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين قط؟ قال: إن الله أمرني بذلك، قال: ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال إبراهيم لا والله ثم رفع رأسه إلى السماء وانحنى عليه بالمدية فهبط جبرئيل فقلب المدية فاعادها إبراهيم فقلبها جبرئيل على

قفاها واجتر الكبش من قبل ثبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾.

وجاء إبليس إلى هاجر فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فغلام رأيته معه قالت ذاك ولدي قال فإني رأيته وقد اضجعه ووضع المدية على حلقه يريد أن يذبحه قالت كذبت إبراهيم أرحم الناس فكيف يذبح ابنه قال: فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك، قالت: ولِمَ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت حق له أن يطيع ربه فوقع في نفسها أنه قد أمر في ابنها، فاسرعت في الوادي راجعة إلى منى حتى رأت ولدها فجعلت تنظره فرأت أثراً في حلقه من خدش السكين ففزعت واشتكت ووقعت مريضة.

ـــ ٦٦ ـــ

النبي وثقيف

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

عن الزهري قال: لما توفي أبو طالب عليه السلام اشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يأووه فوجد ثلاثة نفر من ساداتهم وهم أخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز الله أن يرسل غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك بعد مجلسك هذا أبداً فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت أعظم خطراً من أن يرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أُكلمك بعد واستهزؤا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة حتى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دماً إلى حائط من حيطانهم واستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دماً فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس وهو

نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله من أي أرض أنت؟ قال: من نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسوله وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا: لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وقد أحسنوا ما لا يحسنه الإنس. فإن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن عليهم فسكتوا ولم يقولوا شيئاً فقال رسول الله الجن كانوا أحسن جواباً منكم فإني لما قرأت عليهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

ـــ ٦٧ ـــ

الحديبية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾.

روى الزهري وعروة بن الزبير والمسور بن مخرمة قالوا: خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة فدى رسول الله الهدية واشعره وأحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله حتى إذا كان بغدير الاشطاط قريباً من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال إني تركت كعب ابن لوي وعامر بن لوي قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا جمو عاً وهم قاتلوك أو مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين وسار حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال: ما خلات القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت به فعدل سائراً حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء إنما يتربصه الناس تربصاً فشكوا إليه العطش فنزع لهما من كنانته ثم أمرهم أن

يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى ثدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وهم عيبة نصح رسول الله من تهامة فقال إني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي ومعهم العوذ المطافيل(١) وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال له رسول الله ﷺ: إنا لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلو بيني وبين الناس وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي(٢) ولينفذن الله تعالى أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وأنه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا: ءإته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له النبي نحواً من قوله لبديل، فقال عروة: عند ذلك، أي محمد أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأرى أوشاباً من الناس خلقاء أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ فقيل أبو بكر فقيل إما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك عن لحية رسول

---

(١) العوذ المطافيل: الحديثات النتاج من الإبل والمطافيل ذات الولد من الإنس والوحش.

(٢) السالفة: صفحة العنق كناية عن الموت.

الله قبل أن لا ترجع إليك فقال من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر ولست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فقبلناه وأما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم أن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذ توضأ ثاروا يقتتلون على بقية وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يجدون فيه النظر تعظيماً له. قال فرجع عروة إلى أصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قد يعظمه أصحابه ما يعظم أصحابه ومحمداً إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على بقية وضوئه فإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر تعظيماً له وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته قالوا ءأته فلما أشرف عليهم قال رسول الله لأصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبون فقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فجاء إلى أصحابه فأخبرهم فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ءأته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال النبي قد سهل عليكم أمركم فقال اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب

محمد بن عبد الله فقال النبي إني لرسول الله وإن كذبتموني ثم قال لعلي امح رسول الله فقال علي يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاه وقال إن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وإن بيننا عيبة مكفولة[١] ولا أسلال ولا أغلال وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ومن أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً فقال رسول الله من جاءهم منا فابعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً فقال سهيل وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فاقمت بها ثلاثاً ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى أن هذا الهدى حينما حبسناه محله لا تقدمه علينا

---

(١) عيبة مكفولة: أي عهد وثيق صادر عن صدر نقي من الخداع والمكر والحيلة والاغتيال والسرقة والخيانة المعبر عنهما بالاسلال والاغلال.

فقال نحن نسوق وأنتم تردون فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل يرسف في قيوده حتى خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده فقال النبي أنا لم أنقض بالكتاب بعد قال والله إذاً لا أصالحكم على شيء أبداً فقال النبي فأجره لي فقال ما أنا بمجيره لك قال علي فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه فقال أبو جندل معاشر المسلمين أأرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً فقال بعض أصحابه، والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي فقلت الست نبي الله قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعط الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف حقاً؟ قال بلى أفأخبرتك أنك تأتيه هذا العام، قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به.

ثم أن رسول الله ﷺ نحر بدنة ودعا بحالق فحلق شعره ثم رجع إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالا العهد الذي جعلت لنا فدفع الرجل إليهما فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهما فقال أبو بصير لأحد الرجلين إني لأرى سيفك هذا جيد جداً فاستله وقال أجل إنه لجيد وجربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الأخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله حين رآه لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد اوفى الله ذمتك ورددتني إليهم فأنجاني الله منهم فقال النبي ويل أُمه مسعر حرب لو كان له أحد، فلما

سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل الآنف الذكر فلحق بأبي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فارسل إليهم فأتوه.

فذلك الشرط الذي اشترطته قريش على النبي ﷺ من أن من جاءهم من أصحابه لا يردونه إليه ومن جاءه من أصحابهم مسلماً يرده إليهم هو الذي انتج هذه النتيجة وشكل هذا الحزب بقيادة أبي بصير فوقف في وجوه قريش وقطع عليهم السبل حتى تنازلوا عنه من قبل أنفسهم مستغيثين بالنبي ﷺ فاكسبهم جميلاً بموافقته. فأين يقع ذلك الاعتراض الذي سمعته من بعض أصحابه، ولكنه صلى الله عليه وآله مني بقوم لا يكادون يفقهون قولاً، وكم لهذا الرجل من مثل هذه الإعتراضات الشاذة.

ـــ ٦٨ ـــ

خيبر

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

الفتح القريب فتح خيبر والمغانم الكثيرة غنائمها فإنها مشهورة، وقصتها مروية بروايات عديدة حاصلها أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية إلى المدينة مكث بها عشرين ليلة ثم خرج غازياً خيبر فلما أشرف عليها دعا الله تعالى بعد أن أوقف الناس قائلاً: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن أنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله فساروا ليلاً يحدوهم عامر بن الأكوع ويقول:

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتنينا ... وثبت الإقدام أن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق؟ فقالوا عامر، قال: يرحمه الله

فلما تقابل الفريقان برز عامر فقتله مرحب اليهودي وكان عين مقاتلته اليهود وقد ضاق المسلمون به ذرعاً وقد رجعت راية رسول الله ﷺ مكسورة مرتين مع رجلين من أصحابه بالتعاقب كل فرد منها رجع يجبن أصحابه ويجبنونه فقال النبي ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فبات الناس يدركون بجملتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجون أن يعطوها فقال أين علي بن أبي طالبء؟ فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فمسح النبي من ريقه على عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع ودعا له وأعطاه الراية فقال علي عليه السلام يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال ﷺ: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك النعم. فبرز وخلفه الناس حتى أتى المشركين فدعاهم إلى الإسلام وعرفهم ما يجب عليهم فلم يسمعوا وآل الأمر إلى القتال، فبرز مرحب رئيس المقاتلة وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلتهب

فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

أنا الذي سمتني أُمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

ولم يزد معه حتى أمكنته الفرصة منه فضربه على رأسه ففلقه وخرج إليه أهل الحصن فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه فتناول علي باب الحصن فاقتلعه وتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى

فتح الله عليه فجعل الباب جسراً صعد المسلمون عليه فاقتحموا الحصن وغيره من الحصون هناك وأن ذلك الباب حركه أربعون رجلاً فلم يستطيعوا حمله ولم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصني «الوطيح والسلالم» وكانا آخر حصون خيبر وكان هذا الفتح العظيم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد حصار بضع عشرة ليلة.

وأتى رسول الله ﷺ من حصن القموص بصفية بنت حي بن أخطب زوجة كنانة بن الربيع التي رأت في منامها ليلة بنائها به كأن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال لها ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها سلمها علي عليه السلام مع امرأة أخرى إلى بلال ليأتي بهما إلى رسول الله ﷺ فجاء بهما بلال ماراً بهما على قتلى المشركين فلما رأت تلك المرأة قتلاها صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها ردائه فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه وقال لبلال معاتباً: أنزعت منك الرحمة يا بلال تمر بامرأتين على قتلى رجالهما.

وصالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على النصف من أموالهم العقارية على أن الفسخ بيده متى شاء أخرجهم.

وأرسل أهل فدك إليه ﷺ يطلبون منه أن يصالحهم كما صالح أهل خيبر ففعل فكانت خيبر فيئاً للمسلمين لأنها مما وجف عليها بخيل وركاب بخلاف فدك فإنها خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يرجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقد انحلها رسول الله ابنته فاطمة عليها السلام فكانت تستغلها في حياته فهي في ملكها وتحت تصرفها حتى توفي أبوها.

ـــ ٦٩ ـــ

وفد تميم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

وفد تميم وهم: عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم: الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهثم وقيس ابن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد، فإذا برسول الله ﷺ قد خرج إليهم، فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطارد ابن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً الذي له الفضل علينا والذي وهب لنا أموالاً عظاماً نفعل بها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عدداً وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الأكثار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: قم فأجبه فقام وقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من فضله أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل الله عليهم كتاباً وأئمة على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى

الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس احتساباً وأحسنهم وجوهاً وكان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ، نحن فنحن أنصار رسول الله ووراؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد فأجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله وأحسن جوائزهم وما برحوا حتى أسلموا.

ـــ ٧٠ ـــ

الاقراء

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾.

نزلت في رجل كاذب جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال إن مارية أُم إبراهيم يأتيها ابن عم لها قبطي فدعا رسول الله علياً عليه السلام وقال يا أخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله أكون في امرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة امضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال صلى الله عليه وآله بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

قال علي عليه السلام فاقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف أني أُريده أتى نخلة فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا هو أجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت.

— ٧١ —

من النواهي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾.

كان رجل من الصحابة يدعى بثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبيﷺ حتى يسمع ما يقول فدخل يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا أماكنهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلساً فاجلس فجلس خلفه مغضباً فلما انجلت الظلمة قال من هذا؟ قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذاكراً ما كان له يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء.

وأن أُم سلمة ربطت حقويها بثوب وسدلت طرفه خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب وعيرتها بالقصر واشارت بيدها أنها قصيرة.

وأن سلمان رافق رجلين فبعثاه إلى رسول اللهﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أُسامة بن زيد وكان خازن رسول الله على رحله فقال: ما عندي

شيء فعاد سلمان لصاحبيه فأخبرهما فقالا بخل أُسامة وقالا لسلمان: لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها وطفقا يغتابانه ثم انطلقا يتجسسان هل عند أُسامة ما أمر به رسول الله لهما أم لا فقال لهما رسول الله ﷺ: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً قال ظلمتما تأكلان لحم سلمان وأُسامة.

وخرج عمر بن الخطاب ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح؟ قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين به قالت أقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وارقني إلا حبيب أُلاعبه
فوالله لولا خشية الله والتقى ... لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والحياء يكفني ... وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

فلما هم عمر بالانصراف قال له الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فقال عمر صدقت وانصرف. وهذه الأبيات تناسب امرأة قد غاب زوجها ولكنه ليس ببعيد أن يكون قد حضر بعد غيابه فجعلت تحدثه بحالها أيام غيبته وأنها لهيامها به وحزنها لفراقه لا تأخذ عينها النوم فتسهر لذلك وتقول تطاول إلخ.

ـــ ٧٢ ـــ

القمر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ إن فعلت تؤمنون.

قالوا نعم، وكان ليلة بدر فسأل رسول الله ربه أن يعطيه ذلك مما قالوا، فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان اشهد يا فلان اشهد وقال والذي نفسي بيده لقد رأيت حرابين فلقتي القمر.

وهذه القصة من مناقب نبينا محمد ﷺ واضحة الدلالة في الرد على من قال بإحالة مثلها لما يراه من إحالة الخرق والالتئام بالنسبة إلى الأجرام السماوية فأحال المعراج الجسماني لذلك وقد فاته أن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فيعطي لنبيه ﷺ ما هو فوق ذلك وإنما تكون المعجزة معجزة إذا كانت من الخارقات الخارجة عن مقدور البشر لو سلمنا له ذلك وعليه فالمعاصرون للنبي ﷺ قالوا سحر ولم يعترفوا له بشيء والمتأخرون عن عصره قالوا بإحالة ذلك وقد يقولون بنبوته فالحجة بهم ألزم ممن تقدمهم.

— ٧٣ —

الأنبياء وأُممهم

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠﴾.

عن أبي مسعود: قال أصبحنا ذات يوم فغدونا إلى رسول الله ﷺ فقال عرضت على الأنبياء الليلة باتباعها من أممها فكان النبي تجيء معه الثلة من أُمته والنبي معه العصابة من أُمته والنبي معه النفر من أُمته والنبي معه الرجل من أُمته والنبي ليس معه من أُمته أحد حتى إذا أتى أخي موسى في كبكبة من بني إسرائيل فاعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء فقال هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل فقلت رب فأين أُمتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت من هؤلاء فقال أُمتك قلت رب رضيت ثم قال انظر عن يسارك فنظرت فإذا الافق قد انسد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قال أُمتك قلت رب رضيت قال إن مع هؤلاء سبعين ألفاً من أُمتك يدخلون الجنة بغير حساب فعند ذلك قام عكاشة بن محصن من بني أسد من خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم فقال النبي اللّهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي

الله فداكم أبي وأُمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق ثن إني رأيت أناساً كثيراً يتهاوشون كثيراً فقلت هؤلاء السبعون الفاً، فاتفق رأينا على أنهم أناس ولدوا في الاسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال إني لأرجو أن يكون من تبعتي ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

ـــ ٧٤ ـــ

الظهار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

نزلت هذه الآية وما بعدها إلى خمس آيات في امرأة من الأنصار يقال لها خولة بنت خويلد وزوجها أوس بن الصامت وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرأ فيه سرعة ولمم فقال لها أنت علي كظهر أُمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا وقد حرمت علي فقالت لا تقل ذلك وآت رسول الله ﷺ فاسأله فقال إني أجد أني استحي منه أن أسأله عن هذا قالت فدعني أسأله فقال سليه فأتت النبي ﷺ وعائشة تغسل رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه فتنعشني به فقال ما أراك إلا وقد حرمت عليه فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال ما أراك إلا حرمت عليه ولم اؤمر في شأنك بشيء

فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم إنك تعلم حالي فارحمني فإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار وقع في الإسلام فقالت انظر في أَمري جعلني الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة: اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فجاءت إليه تركض وقالت قم إلى رسول الله فلما جاء وجلس تلا عليه رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيات فقالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الأصوات ثم قال له رسول الله ﷺ بعد أن تلا عليه الآيات، هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: إذاً يذهب مالي كله والرقبة غالية وإني قليل المال فقال له فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال والله يا رسول الله إني إذا لم آكل في كل يوم ثلاث مرات كلّ بصري وخشيت أن تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال: لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله فقال إني معينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة فاعانه رسول الله بخمسة عشر صاعاً ودعا لهما بالبركة فاجتمع لهما أمرهما.

ـــ ٧٥ ـــ

مجلس رسول الله ومناجاته

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال المفسرون: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنافسون في مجالسه فإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمر الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض حيث أن رسول الله كان في الصفة وفي والمكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سُبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي وقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر، قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أُقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما

عدل على هؤلاء إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم لمقامهم فنزلت الآية طبق عمل الرسول ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وأن الأغنياء من أصحابه كانوا يكثرون مناجاته ومساراته حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ فظن الكثير من الناس بذلك خوف العيلة على ما فيها من المنافع لهم فكفوا عن المسارة والمناجاة، فلم يناجهِ أحد إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يزل الحال كذلك حتى نزلت الرخصة بقوله تعالى ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

قال ابن عمر: كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث ما كانت لي واحدة منهن لكانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطائه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

ـــ ٧٦ ـــ

بنو النضير

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾﴾.

ذكر المفسرون: أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقتلوا معه فقبل منهم فلما غزا رسول الله بدراً وظهر على المشركين قالوا: إنه والله للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا غزاة أُحد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ ثم دخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الكعبة وأستارها ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة ونزل جبرئيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف.

قال محمد بن اسحاق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر الذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري وكان

بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي ﷺ يستعينهم في الدية. قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه وكان رسول الله ﷺ جالساً إلى جانب جدار من بيوتهم فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعاً إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلاً إلى المدينة فأقبل أصحاب النبي حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر.

وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف، فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحارث وخرج النبي على أثرهم وجلس في موضع ينتظر رجوعهم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى أقرب قصره وأجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من أنت قال أنا محمد بن مسلمة أخوك جئتك استقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال لا أُقرض إلا بالرهن قال معي رهن انزل فخذه وكان له أمرأة بني بها تلك الليلة عروساً فقالت لا أدعك تنزل لأني أرى جمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت إليها وخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا عن القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً فرجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا، وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن، فأمر رسول الله بقطع النخل والتحريق فيها

فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فانزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾.

قال ابن عباس: حاصرهم النبي ﷺ حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن دمائهم وأن يخرجهم من أرضهم واوطانهم وأن يسيرهم إلى اذرعات من الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء فخرجوا إلى اذرعات بالشام واريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة بعد أن خربوا بيوتهم بأيديهم كانوا ينقضونها من داخل ليهربوا لئلا ينتفع بها المسلمون والمسلمون ينقضونها من الخارج ليتطلوا بهم.

وقيل إن التخريب من اليهود بنقضهم العهد ومن المؤمنين بالمقاتلة.

— ٧٧ —

عابد بني إسرائيل

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

عن ابن عباس قال إنه كان عابد في بني إسرائيل يقال له برصيصا عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وأنه أوتي بامرأة في شرف وبيت رفعة قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد اخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا ثم أتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي التقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك اخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وأنا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل، نسأل الله حسن الختام.

— ٧٨ —

حاطب بن أبي بلتعة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفي بن هاشم أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين فقال ﷺ امسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا قال فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال فأين أنت من شبان مكة؟ وكانت مغنية نائحة فقالت ما طلب مني بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وأعطوها نفقة وحملوها وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وتكتب في الكتاب من حاطب بن أبي يلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل فأخبر النبي بما فعل حاطب فبعث رسول الله ﷺ علياً في نفر من الصحابة وكانوا كلهم فرساناً وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها

ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي كره رسول الله ﷺ فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت ما معها شيء من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع فقال علي عليه السلام والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوابتها قد خبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت وحيداً فيهم غريباً وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فاردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره وأراد بعض الصحابة أن يقتله فنهاه رسول الله وما احرى حاطباً أن يخاطبه بقول بعضهم:

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تذرق من صفير الصافر

ـــ ٧٩ ـــ

الجمعة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾.

ذكروا أن الأنصار بالمدينة اجتمعوا قبل قدوم النبي ﷺ عليهم فقالوا أن لليهود يوماً يجتمعون فيه والنصارى يوماً يجتمعون فيه فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عزَّ وجل ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يومكم يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم ووعظهم فسموه يوم الجمعة وأن أسعداً حين اجتمعوا إليه ذبح لهم شاة فتنذروا وتعشوا منها، وذلك لقلتهم، فهذه أول جمعة جمعت في الإسلام.

وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فقيل إنه قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة حتى نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة قادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذوا ذلك الموضع مسجداً لهم وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول

الله ﷺ في الاسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها في المدينة فيما قيل فقال:

(الحمد لله أحمده واستعينه واستغفره واستهديه وأومن به ولا أفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وأنقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً).

أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أُوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الناس من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن في عاجل أمره وذخر فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وأن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقى سخطه وأن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعدائه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة

ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله واعلموا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والجمعة كالعيدين يجبان بحضور الإمام أو نائبه الخاص عند الأكثر وقيل بوجوبها مطلقاً والله العالم، وكانت صلاة الجمعة على عهد بني أُمية غير مقيدة بوقت فقد تصلى في غير وقتها كما اتفق لهم أنهم صلوا يوم الأربعاء استهتاراً بالدين وتلاعباً بشريعة سيد المرسلين.

ـــ ٨٠ ـــ

تعارض الدنيا والآخرة

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

روى المفسرون قالوا: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلاً وأمرأة فقال رسول الله ﷺ لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء فأنزل الله تعالى هذه الآية تعييراً لهم وتوبيخاً لفعلهم حيث أنهم تركوا رسول الله وما يصلحهم في آخرتهم وذهبوا إلى الدنيا ترجيحاً لها على الآخرة.

ـــ ٨١ ـــ

المنافقون

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

هذه الآية وما فيها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له (المرسييع) من ناحية قديد الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ﷺ أبنائهم ونسائهم وأموالهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واودة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف الخزرجي على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبد الله بن أبي لجعال إنك لهتاك فقال وما يمنعني أن أفعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لآزرنك ويهمك غير هذا، وغضب ابن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن فقال ابن أبي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله

ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل «سمن كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكن وقاسمتموه أموالكم أما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم، فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا أحبك بعد كلامك هذا فقال له اسكت إنما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله بالرحيل وأرسل إلى عبد الله فأتاه، فقال له: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط وأن زيداً لكاذب، وقال من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه بكلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله وفشت الملامة من الأنصار لزيد ولما استقل رسول الله فسار قبله أسيد بن الخضير فحياه بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ أوما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل؟ فقال أسيد فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جاء الله بك وأن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وأنه ليرى إنك قد استلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر

بوالديه مني وأني أخشى أن تأمر به رجلاً غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس فأقتله فأكون قد قتلت مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال له النبيﷺ بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله بالناس يومهم ذاك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن أبي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم فتخوفوها وضلت ناقة رسول اللهﷺ وذلك ليلاً فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة فقال من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته إلا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبرئيل فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر رسول اللهﷺ بذلك أصحابه وقال ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلم ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فذهبوا إليها فإذا هي كما قال فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم قال زيد بن أرقم فلما وافى رسول اللهﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبي فأخذ رسول الله بإذن زيد وقال يا غلام صدق فوك وسمعت اذناك ووعى قلبك وقد أنزل الله تعالى فيما قلت قرآناً وكان عبد الله بن أبي يقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينة قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها إلاَّ بإذن من رسول اللهﷺ ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الأذل فشكى عبد

الله ابنه إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه أن خل عنه يدخل فقال أما إذا أمر رسول الله فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

وبان كذب عبد الله هذا أنه قيل له نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني أن أومن فقد آمنت وامرتموني أن أُعطي زكاة مالي فقد أُعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فنزل فيه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾.

ـــ ٨٢ ـــ

زوجات النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾.

ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ كان إذ صلى الغداة يدخل على أزواجه أمرأة امرأة وكان قد أهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها إذا دخل رسول الله على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع ففعلت الجارية وأخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وارسلت إلى صواحبها فاخبرتهن وقالت إذا دخل عليكن رسول الله فقلن إنا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله ﷺ على سودة قالت فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ثم أني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي أجدها منك أكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك فقالت أجد ريح

المغافير أكلتها يا رسول الله قال لا ولكن حفصة سقتني عسلاً فقالت إذا نحلها العرفط فقال والله لا أطعمها أبداً فحرمه على نفسه.

وذكروا لذلك سبباً آخر وذلك أن رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله إلى جاريته مارية القبطية وكان قد أهداها إليه المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة إنما أذنت لي من أجل هذا دخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقاً فقال أليس هي جاريتي قد أحل الله ذلك لي اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك أمانة فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة وقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه فاعتزل النبي نسائه تسعاً وعشرين يوماً وقعد في مشربة أُم إبراهيم مارية قد نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ إلى آخر الآية فكفر رسول الله ﷺ عن يمينه بعتق رقبة وعاد إلى مارية.

ـــ ٨٣ ـــ

سائل العذاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾.

حدث الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن الثقات مرفوعاً إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد وتسامع به الناس فكان حديثهم فقدم على النبي صلى الله عليه وآله النعمان بن الحرث الفهري فقال أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله والله الذي لا إله إلا هو هذا أمر من عند الله فولى النعمان بن الحرث وهو يقول اللّٰهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء يقول هذا وهو خارج من المسجد قاصداً ناقته وقد عقلها ببابه فما بلغها حتى رماه الله بحجر على رأسه خرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾.

ـــ ٨٤ ـــ

الوليد بن المغيرة المخزومي

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ . . . الآيات.

هو الوليد بن المغيرة المخزومي المعروف بريحانة قريش، وكان وحيداً أي ابن زنا جعل الله له من المال الممدود ما لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف من البساتين والنقود المؤلفة والإبل المؤبلة والخيل المسومة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلتها والجواري والعبيد والعين الكثيرة وكان له ثلاثة عشر ولداً لا يغيبون عنه لغنائهم عن ركوب السفر للتجارة وسهل له التصرف في الأمور تسهيلاً فبدلاً من أن يقابل هذه النعم بالشكر قابلهما بالكفر والالحاد ونسب إلى نبي الله ما شدد به الوطأة عليه من قريب.

وذلك أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد إنكم ذووا أحساب وذووا أحلام وأن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا أمركم على شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول أنه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول أنه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول أنه لمجنون قال إذا تأتونه فلا تجدونه مجنوناً قالوا نقول

أنه ساحر قال وما الساحر قالوا بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى أحد منهم النبي إلا قال يا ساحر يا ساحر واشتد عليه ذلك.

ويروى أن النبي ﷺ لما أنزل عليه ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وأن له لحلاوة وأن له لطلاوة وأن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغذق وأنه ليعلو وما يعلى عليه، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال لهم أبو جهل أنا اكفيكموه فانطلق فجلس إلى جنب الوليد حزيناً فقال له الوليد مالي أراك يا ابن أخي حزيناً قال هذه قريش يعيبونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد فقام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال أتزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخلط في كلام قط؟ فقالوا اللَّهم لا قال أتزعمون أنه كاهن فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك قالوا اللَّهم لا قال أتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللَّهم لا قال أتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا اللَّهم لا وكان ﷺ يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر عبس وبسر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر وبقيت هذه النعرة في قلوب جماعة من الذين أسلموا ربما ظهرت على فلتات ألسنتهم في كثير من المقامات كما تقدمت قصتهم وقصة أمثالهم من المنافقين.

ـــ ٨٥ ـــ

النذر

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

روى الخاص والعام: أن الآيات من هذه السورة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة.

عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح قالوا: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجوه العرب من أصحابه وقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله سبحانه وتعالى ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك وكذلك فضة فبرئا وليس عندهم شيء فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصواع من شعير من يهودي وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً منها فخبزته وصلى علي المغرب وقربته إليهم فما هموا أن يأكلوا إذ طرق بابهم مسكين يسألهم ويدعوهم فاعطوه ذلك كله، ولم يذوقوا منه شيئاً وباتوا جياعاً لم يذوقوا سوى الماء وأصبحوا صياماً فلما كان اليوم الثاني أخذت فاطمة صاعاً آخر فطحنته وخبزته وصلى عليٌ المغرب وأقبل فقدمت فاطمة ذلك فما هموا أن يأكلوا وإذا بيتيم يطرق بابهم ويستطعمهم فأعطوه طعامهم كله ولم يذوقوا إلا الماء فباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً فلما كان اليوم الثالث عمدت فاطمة إلى

الباقي فطحنته وخبزته فلما أقبل عليّ بعد صلاة المغرب قدمت إليه ذلك فما هموا أن يأكلوا وإذا بأسير يطرق عليهم الباب مستطعماً فأعطوه طعامهم ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى علي عليه السلام ومعه الحسن والحسين إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهما ضعف فبكى رسول الله ودعا لهم فرزقهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا طعاماً من الجنة ونزل جبرئيل بسورة هل أتى.

وسائلٌ هل أتى مدح بحق علي فقلت أي هل أتى مدحٌ بحق علي

وهم عليهم السلام لا زالوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

ـــ ٨٦ ـــ

من أهل المحشر

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

في الحديث عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ الآيات فقال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالدموع وقال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق وجوههم من تحت وهم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

١ ـ فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهم السعاة بالنميمة بين الناس ليلقحوا الفتنة ويثيروا الشر.

٢ ـ وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت.

٣ ـ وأما الذين هم منكوسون على رؤوسهم فآكلة الربا.

٤ ـ وأما العمى الذين يترددون فالجائرون في الحكم.

٥ ـ وأما الصم البكم فهم المعجبون بأعمالهم.

٦ ـ وأما الذين يمضغون السنتهم فهم العلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم.

٧ ـ وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران.

٨ ـ وأما المصلبون على جذوع من نار فهم السعاة بالناس إلى السلطان.

٩ ـ وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم.

١٠ ـ وأما الذين يُلبسون الجباب فهم أهل الفخر والخيلاء.

ولا ينبئك مثل خبير فإن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فليتق امرءٌ على نفسه.

ـــ ٨٧ ـــ

جبرئيل

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾.

أضاف الله تبارك وتعالى القرآن المجيد إلى جبرئيل فإنه تعالى قال يا جبرئيل أت محمداً وقل له كذا فالقرآن كلام الله سمعه النبي ﷺ من جبرئيل ولم يأتِ به من قبل نفسه.

ثم وصف تعالى جبرئيل فقال ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لجبرئيل: ما أحسن ما أثنى عليك ربك ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ فما كانت قوتك وما كانت أمانتك؟ فقال أما قوتي فإني بعثت إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن، واما أمانتي فإني ما أمرت بشيء فعدوته إلى غيره.

وأما طاعة أهل السماوات له فمنها أنه لما كان رفيقاً لنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج أمر رضوان خازن الجنة أن يفتحها ففتحها ودخلها النبي ورأى ما فيها وأمر خازن النار مالكاً أن يفتحها ففعل ورأى ما فيها وجبرئيل القوي الأمين الذي هو عند ذي العرش مكين بهذه العظمة وهذه المنزلة الرفيعة لا يدخل بيت النبي إلا مستأذناً حيث أن النبي ﷺ أرفع منه قدراً وبيته أعلى مكاناً فتأمل.

— ٨٨ —

أصحاب الأخدود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾.

روى مسلم في الصحيح عن هدبة بن خالد مرفوعاً إلى صهيب عن رسول الله ﷺ قال: كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إني قد حضر أجلي فادفع إلي غلاماً أعلمه السحر فدفع إليه غلاماً وكان يختلف إليه وبين الساحر وأهل الغلام راهب فمر الغلام بالراهب فأعجبه كلامه وأمره فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه وإذا أبطأ عن أهله ضربوه فشكى ذلك إلى الراهب فقال يا بني إذا استبطأك الساحر فقل حبسني أهلي وإذا استبطأك أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم وإذا بالناس قد غشيتهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم الراهب فأخذ حجراً وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة فرمى به فقتلها ومضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال أي بني إنك ستبتلي وإذا ابتليت فلا تدل علي قال فجعل الغلام يداوي الناس فيبرىء الأكمه والأبرص فبينما هو كذلك إذ عمى جليس الملك فأتاه وحمل إليه مالاً كثيراً فقال

اشفني ولك ما هاهنا فقال أني لا أشفي أحداً ولكَن الله يشفي فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله تعالى فشفاه فذهب فجلس إلى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال أوأن لك رباً غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث إلى الغلام فقال له لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمه والأبرص قال ما اشفي أحداً ولكن الله ربي يشفي قال أوأن لك رباً غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فأرسل معه نفراً وقال اصعدوا به جبل كذا وكذا فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعين وجاء إلى الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله فأرسل به مرة أُخرى وقال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع وإلا فاغرقوه فانطلقوا به في قرقور وهي سفينة صغيرة طويلة المعروفة في زماننا اليوم بالقلص ـ فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا جميعاً ونجى الغلام فجاء حتى قام بين يدي الملك فقال له ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله تعالى ثم قال له لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به اجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهماً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل له أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخددت على أفواه السكك ثم اضرمها ناراً وقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فافحموه فيها فجعلوا

يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت النار مع طفلها.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام كان السبب في ذلك أن ملكهم سكر فوقع على ابنته أو اخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قال تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخد لهم اخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله وكذلك يفعل الجبابرة عند إرادتهم ما يوافق هواهم بقسر العباد بالنار أو السيف أو بالشنق أو بسائر أنواع التعذيب وفي أُمة محمد صلى الله عليه وآله أمثال ذلك قديماً وحديثاً مما لا يخفى على من تتبع التاريخ مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله: سيجري في أُمتي ما جرى في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة.

ورويت هذه القصة بطريق آخر على غير هذا النحو قالوا إن أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والثالث بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو انطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر واما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وأنزل في الذي كان بنجران.

وذلك أن رجلين مسلمين كانا ممن يقرآن الانجيل أحدهما بأرض تهامة والآخر بنجران اليمن آجر أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل ذات يوم يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت لأبيها ذلك فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره به فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين إنساناً من رجل وامرأة

بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخد لهم في الأرض واوقد فيها وعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها وإذا بامرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت فقال ابنها يا أُماه إن أمامك ناراً لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قُذفا في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون إنساناً.

ــ ٨٩ ــ

جنة عاد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾.

قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابة في طلب إبل له شردت فبينما هو في صحاري عدن إذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها أحد يسأل عن إبله فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا هو بقصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضاً مفروشة كلها باللئالي وبنادق من مسك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها أحداً هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار وتحت الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشد بياضاً من الشمس فقال الرجل والذي بعث

محمداً بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وأن هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه المجيد فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها وياقوتها شيئاً وخرج ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وعلم الناس أمره فلم يزل ينمو أمره حتى بلغ معاوية خبره فأرسل في طلبه فقدم عليه وقص عليه القصة فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم أخبرك بها وبمن بناها إنما بناها شداد بن شداد عاد فاما المدينة فارم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال إن عاد الأولى ليس بعاد قوم هود ولد ذلك وكان عاد له ولدان شداد وشديد فهلك عاد وبقيا وملكا فقهرا العباد وملكا البلاد وأخذاها عنوة ثم هلك شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الأرض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة علواً وعتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى كل ملك في الدنيا أن يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة أقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصناً وحول الحصن ألف قصر ثم سار الملك إليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزَّ وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ولم يبق منهم أحد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له في تلك الصحاري والرجل عند معاوية فالتفت كعب إليه وقال هذا والله ذلك الرجل.

فما دخلها أحد قبله ولا بعده وسيدخلها أهل الدين في آخر الزمان.

ـــ ٩٠ ـــ

المرصاد

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾.

المرصاد هو طريق كل عبد إلى الجنة إن عمل صالحاً وإلا فإلى النار فقد روي عن ابن عباس في هذه الآية قال إن على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني فيسأله عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامة جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء بها تامة جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

فكل هذه عراقيل تمنع من دخول الجنة إلا ما شاء الله وقد تهون كلها بفضل الله دون الأخيرة التي لا تعالج إلا باعمال مقابلة فما عسى أن تكون أعمال من خرج من الدنيا شاتماً هذا وضارباً هذا وظالماً هذا وغاصباً هذا وباهتاً هذا وجارحاً هذا، وفي القرآن من الشواهد على ذلك كثير منها قوله تعالى﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ نسأل الله حسن العاقبة.

ـــ ٩١ ـــ

نخلة

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

روى الواحدي بالاسناد المتصل المرفوع أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال وكان الرجل إذا دخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر وربما سقطت التمرة فأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة فيأخذ التمرة من أيديهم فإن وجدها في فم أحدهم أدخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه فشكى ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي اذهب فلقى رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك المائلة التي في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل إن لي نخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إلي من تمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقى صاحب النخلة فساومها منه فقال له اشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وأن لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إلي من تمرتها فقال له اتريد بيعها قال لا إلا أن أُعطى ما لا أظنه أُعطى قال فما مناك قال أربعون نخلة فقال

الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة ولكني قد اشتريتها بذلك فقال له اشهد لي إن كنت صادقاً فمر إلى الناس فدعاهم فاشهد له بأربعين نخلة عوضاً عن نخلته المائلة فلما تم البيع ذهب إلى النبي فقال يا رسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك يا رسول الله فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك، وإسم ذلك الرجل الذي اشتراها أبو الدحداح الموصوف بالذي أعطى واتقى وصدق بالحسنى وصاحب النخلة الموصوف بالذي بخل واستغنى وكذب بالحسنى، وكان النبي ﷺ يمر بتلك الدار وعذوق النخلة دانية فيقول عذوق وعذوق في الجنة لأبي الدحداح، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

— ٩٢ —

غزوة ذات السلاسل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

ذكروا أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فجثا بين يديه وقال له: جئتك لأنصح لك قال وما نصيحتك؟ قال قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل واجمعوا على أن يبيتوك بالمدينة ووصفهم له فأمر النبي ﷺ أن ينادي بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس إن هذا عدو الله وعدوكم قد عمل على أن يبيتك فمن لهم) فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا نحن نخرج إليهم يا رسول الله فول علينا من شئت فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم فاستدعى عيناً من أصحابه وقال له خذ اللوى وامض إلى بني سليم فإنهم قريب من الحرة فمضى القوم حتى قارب أرضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر إليه صعب فلما صار إلى الوادي وأراد الانحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جماعة فرجع مع بقيتهم فلما قدموا على النبي ﷺ عقد اللوى لصاحبه وبعثه إليهم فكمنوا له تحت الحجارة والشجر فلما ذهب ليهبط

خرجوا إليه فهزموه فساء رسول الله ﷺ ذلك فقال له ابن العاص ابعثني يا رسول الله إليهم فإن الحرب خدعة فلعلي أخدعهم فانفذه مع جماعة ووصاه فلما صار إلى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة ومكث رسول الله ﷺ أياماً يدعو عليهم ثم دعا أمير المؤمنين عليه السلام فعقد له راية ثم قال ارسلته كراراً غير فرار ثم رفع يديه فدعا له ما شاء الله وخرج علي بن أبي طالب وخرج رسول الله لتشييعه وبلغ معه إلى مسجد الأحزاب وانفذ معه فيمن انفذ أولئك الثلاثة الذين فروا وانهزموا فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه ثم أخذ بهم على محجة غامضة فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه وكان يسير الليل ويكمن النهار فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يعكموا الخيل حذراً من صهيلها واوقفهم مكاناً وقال لا تبرحوا فلما رأى عمرو بن العاص ما صنع لم يشك أن الفتح يكون له فقال لصابه أنا أعلم بهذه البلاد من علي وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب فإن خرجت علينا خفت أن تقطعنا فكلمه يخل عنا حتى نعل الوادي قال فانطلق فكلمه وأطال فلم يجبه أمير المؤمنين حرفاً واحداً فقال عمرو بن العاص للآخر أنت أقوى عليه فانطلق فخاطبه فصنع به ما صنع بصاحبه فرجع إليهم فأخبرهم أنه لم يجبه فقال ابن العاص إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا انطلقوا بنا نعلوا الوادي فقال له المسلمون لا والله ما نفعل أمرنا رسول الله ﷺ أن نسمع لعلي ونطيع فنترك أمره ونطيع لك ونسمع فلم يزالوا كذلك حتى أحس أمير المؤمنين بالفجر فكبس القوم وهم غارون فامكنه الله تعالى منهم وأنزل على النبي ﷺ والعاديات ضبحاً فالمغيرات صبحاً إلى آخرها فبشر النبي أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين عليه السلام فاستقبلوه والنبي ﷺ يقدمهم فقاموا له صفين فلما بصر

بالنبي ترجل له عن فرسه فقال له النبي اركب فإن الله ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً فقال له النبي صلى الله عليه وآله يا علي لولا أني اشفق أن تقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك.

ـــ ٩٣ ـــ

أصحاب الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾

أجمعت الرواة على أن ملك اليمن الذي قصد هدم الكعبة هو أبرهة ابن الصباح الأشرم وكنيته أبو يكسوم، قال الواقدي هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وقال محمد بن يسار أقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي وحفر بها بئراً يدعى اليوم بئر الملك وبالمدينة إذ ذاك يهود الأوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة فاستحيا وأراد صلحهم فخرج إليه رجل من الأوس يقال له احيحة بن جلاح وخرج إليه في اليهود بنيامين القرظي فقال احيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على أن تدخلها ولو جهدت قال ولم قال لأنها منزل نبي من الأنبياء يبعثه الله من قريش قال: ثم خرج يسير حتى كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحاً فقصفت يديه ورجليه وشنجت جسده فأرسل إلى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا الذي أصابني قالوا أحدثت نفسك بشيء قال

نعم وذكر ما أجمع عليه من هدم البيت وأصابه ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام ومن أراده هلك قال ويحكم وما المخرج مما وقعت فيه قالوا تحدث نفسك أن تطوف به وتكسوه وتهدي له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت ونحر بمكة وأطعم الناس ثم رجع إلى اليمن فقتله قومه فخرج ابنه إلى قيصر واستغاث به فيما فعل قومه بأبيه وأن قيصر كتب له إلى النجاشي ملك الحبشة فبعث النجاشي معه ستين ألفاً واستعمل عليهم روزبه فقاتلوا حمير قتلة أبيه ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن وكان في أصحاب روزبة رجل يقال له أبرهة وهو أبو يكسوم قال لروزبة اني أولى بهذا الأمر منك ثم قتله وتولى الأمر وارضى النجاشي واستتب له الأمر ثم أنه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قباباً من ذهب وأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهي بذلك البيت الحرام وأن رجلاً من كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها لحاجة الإنسان فدخلها أبرهة فوجد تلك العذرة فقال من اجترأ عليَّ بهذا ونصرانيتي لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج أبداً ودعا بالفيل وأذن قومه بالخروج ومن اتبعه من أهل اليمن وكان أكثر من اتبعه منهم عك والأشعريون وخثعم قال ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلاً من بني سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذي بناه فتلقاه أيضاً رجل من الحمس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حنقاً وحث السير والانطلاق وطلب من أهل الطائف دليلاً فبعثوا معه رجلاً من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه وهو من مكة على ستة أميال فبعثوا مقدماتهم إلى مكة فخرجت قريش عباديد في رؤوس الجبال وقالوا لا طاقة لنا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن

هاشم أقام على سقايته وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار أقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي البيت ويقول:

لا هـم إن الـمـرء يـمـنـع رحـلـه فـامـنـع حـلالـك
لا يـغـلـبـوا بـصـلـيـبـهـم ومـحـالـهـم عـدوا مـحـالـك
لا يـدخـلـوا الـبـلـد الـحـرام إذاً فـأمـر مـا بـدا لـك

ثم أن مقدمات أبرهة أصابت نعما لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم وكان حاجب أبرهة رجل من الأشعريين له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له جاءك سيد قريش الذي يطعم انسها في الحي ووحشها في الجبل فقال له إذن له وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً جميلاً فلما رآه أبو يكسوم أبرهة أعظمه أن يجلسه تحته وكره أن يجلسه معه على سريره فنزل معه على سريره وجلس على الأرض وأجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك؟ قال حاجتي مائتا بعير لي أصابتها مقدمتك فقال أبو يكسوم والله لقد رأيتك فأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم أيها الملك؟ قال إني جئت إلى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون فجئت لأكسره وأصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتني في إبلك ولم تطلب إلي في بيتكم فقال له عبد المطلب: أيها الملك إني اكلمك في مالي ولهذا البيت رب هو يمنعه ليست لنا منه في شيء فراع ذلك أبا يكسوم وأمر برد إبل عبد المطلب عليه ثم رجع وامست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كأنها تكلمهم كلاماً لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليهم حتى دخل الحرم وتركهم وقال الأشعرون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبرؤوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم ادلجوا بسحر

فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكة فوجهوه إلى مكة فربض فضربوه تمرغ فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم أنهم أقبلوا على الفيل وقالوا لك الله أن لا نوجهك إلى مكة فانبعث فوجهوه إلى اليمن راجعاً فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقاً حتى إذا ردوه إلى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا إلى القسم فلم يزل كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في مناقره حجر وفي رجليه حجران وإذا رمت بذلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقه ولا عظم إلا أوهاه وثقبه وثاب أبو يكسوم راجعاً قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضاً انقطع له ارب حتى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شيء منه إلا أباده فلما قدمها تصدع صدره وانشق بطنه فهلك ولم يصب من الأشعريين وخثعم أحد.

قال: وكان عبد المطلب يرتجز داعياً على الحبشة:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لم يقهروا قواكا

قال: ولم تصب أحداً تلك الحجارة إلا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق وقال نفيل في ذلك:

ردينة لو رأيت ولن ترينه لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله إذ عاينت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن عليّ للحبشان دينا

وقال أُمية بن أبي الصلت الذي مات كافراً:

إن آيات ربنا بينات ما يماري فيهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس
من بعدما هم بشيء مبلس حبسته في هيئة المكركس

وقال ابن قيس الرقيات:

واستهلت عليهم الطير بالجندل حتى كأنه مرجوم.

وقال الأعشىٰ:

طريق وجبار رواء اصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

وقال أمرء القيس:

تراهم إلى الداعي سراعاً كأنهم أبابيل طير مدجن تحت داجن

وروى العياشي بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال أرسل الله على أصحاب الفيل طيراً مثل الخطاف ونحوه في منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجر فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى أتت عليهم قال فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فبينما هو يخبرهم إذ أبصر طيراً فقال هذا منها قال فحاذاه فرماه على رأسه فخرج من دبره.

— ٩٤ —

رحلة الشتاء والصيف

بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾.

وذلك أن قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليهم فيه وأن يعرض لهم أحد بسوء إذا خرجت منها لتجارتها والحرم واد جديب إنما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف، فكانوا يعيشون بتجارتهم ورحلتهم قد الفوا ذلك لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته.

وأول من حمل الميرة من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف يصدقه قول الشاعر:

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيا أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متألقات ... من أرض الشام بالبر النفيض

فوسع أهل مكة من هشيم ... وشاب البر باللحم الغريض

وقال سعيد بن جبير مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر بملأ وهم ينشدون:

ياذا الذي طلب السماحة والندى هلا مررت بآل عبد الدار

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد ومن اقتار

فقال النبي ﷺ لصاحبه أهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق بل قال:

يا ذا الذي طلب السماحة والندى هلا مررت بآل عبد مناف

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد ومن ايجاف

الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلم للأضياف

والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

والقائلين بكل وعد صادق ورجال مكة مسنتين عجاف

سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأصياف

ـــ ٩٥ ـــ

فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية كان في اشراطهم أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله دخل فيه وبالعكس فدخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً وكان ممن أعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن أبي جهل وسهل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال:

لا هم إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الاتلدا ... إن قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وقاتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ حسبك يا عمرو، ثم قام ودخل دار ميمونة وقال اسكبي لي ماء فجعل يغتسل ويقول: لا نصرت إن لم أنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاء فلقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى النبي ﷺ ليشدد العقد فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ما أتيت محمداً قال لا فلما ذهب بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمداً ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال يا محمد احقن قومك واجر بين قريش وزدنا في المدة فقال ﷺ اغدرتم يا أبا سفيان قال لا قال فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي أبا بكر فقال أجر بين قريش فقال ويحك واحد يجير على رسول الله ثم لقى عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على أُم حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته، فقال: يا بنية أراغبة بهذا الفراش عني قالت نعم هذا فراش رسول الله ﷺ ما كنت لتجلس وأنت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمة وقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين أكرم سيدة في الناس فقالت جواري جوار رسول الله فقال تأمرين ابنيك أن يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي أن يجيرا بين الناس وما يخير على رسول الله أحد ثم قال لأمير المؤمنين عليه السلام يا أبا الحسن إني أرى الأمور اشتدت علي فانصحني

فقال عليه السلام إنك شيخ قريش فقم على باب المسجد وأجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنياً عني شيئاً قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد وقال يا أيها الناس إني قد أجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك فأخبرهم بالقصة فقالوا والله إن زاد علي بن أبي طالب أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، قال: والله ما وجدت غير ذلك.

قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالجهاز إلى حرب مكة وأمر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر من السماء فبعث علياً والزبير وأخذا الكتاب من المرأة كما تقدم.

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله أبا ذر الغفاري وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة آلاف من المسلمين ونحو من أربعمائة فارس ولم يتخلف عنه من المهاجرين ولا من الأنصار أحد وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وآله بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أُم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي فهو الذي هتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال والله ليأذنن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله رق لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله مر الظهران وقد عمت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله خبر

فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وقد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخلها عنوة إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال اخرج إلى الأراك لعلي أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس: فوالله إني لأطوف بالأراك النمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت أبا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال أبو سفيان خزاعة ألأم من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة يعني أبا سفيان فقال أبو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك أبي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله ﷺ وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال بماذا تأمرني قال تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت اركض ببغلة رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال عمر: يا أبا سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطشة الرجل البطيء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله إني قد اجرته ثم أني جلست إلى رسول الله ﷺ وأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم أحد دوني فلما أكثر فيه عمر قلت مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا بالرجل إلا أنه من بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا فقال عمر مهلاً يا عباس فوالله

لأسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله ﷺ إذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي في الغداة قال فلما أصبحنا غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأُمي ما أوصلك وأكرمك وأرحمك وأحلمك والله ظننت أن لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم أحد فقال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأُمي أما هذه فإن في النفس منها شيئاً قال العباس فقلت له ويحك إشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فتشهد فقال رسول الله ﷺ للعباس انصرف به يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومر عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هؤلاء ومن هؤلاء وأقول أسلم وجهينة وفلان وفلان حتى مر رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقال من هؤلاء يا أبا الفضل قلت هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار فقال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقلت ويحك إنها النبوة فقال نعم إذا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله وأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما إلى قريش بين يديه يدعوانهم إلى الإسلام وقال من دخل دار أبي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن ولما خرج أبو سفيان وحكيم عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير بن العوام وأمره على خيل المهاجرين وأمره أن يغرز رايته بالحجون من أعلى مكة وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله مكة وضربت هناك خيمته وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبني

سليم وأمره أن يدخل من أسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت وأمرهم رسول الله جميعاً أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وأمرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن أبي سرح والحويرث بن نفيل وابن خطل ومقبس بن ضبابة وأمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فقتل علي عليه السلام الجويرث بن نفيل واحدى القينتين وافلتت الأخرى وقتل مقبس بن ضبابة في السوق وادرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقبله.

قال وسعى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ وأخذ ركابه فقبله ثم قال بأبي أنت وأُمي يا رسول الله أما تسمع مسعداً ما تقول إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة   اليوم تسبى الحرمة

فقال رسول الله ﷺ أدركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي يدخل بها وادخلها إدخالاً رفيقاً فأخذها علي وأدخلها كما أمر ﷺ ولما دخل رسول الله مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم وأتى رسول الله ﷺ ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مال أو مأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما إلا أن مكة محرمة بتحريم الله تعالى ولم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار وهي محرمة إلى أن تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ثم ألا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وآذيتم ثم مارضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم كأنما

انشروا من القبور ودخلوا في الإسلام وكان الله تبارك وتعالى أمكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيأ فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبعري إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال:

يا رسول الله إن لساني راتق ما فتقت إذا نا ور
إذ أباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ثم نفسي الشهيد أنت النذير

ودخل النبي ﷺ مكة يوم دخل وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فطهر البيت الحرام بازالتها عنه فهي تتكسر كالقوارير وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

ـــ ٩٦ ـــ

أبو لهب وامرأته

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

أبو لهب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأشدّ الناس عداوة له وتألباً عليه، قال طارق المحاربي: بينما أنا بسوق ذي المجاز إذ أنا بشاب يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا برجل خلفه يرميه بالحجارة قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم أنه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب، ولما أنذره النبي ﷺ بالنار قال أفتدي بولدي ومالي فأنزل الله تعالى ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

وحدث أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت أسلمت أُم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن

بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبّه الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال وكنت ضعيفاً وكنت أعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها انحت القداح وعندي أُم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب هلم إلي يا ابن اختي فعندك الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اختي أخبرني كيف كان أمر الناس قال لا شيء، والله إن كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع: فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت تلك الملائكة قال فرفع أبو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أُم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفناه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان إن أباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا إنا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه.

وأما امرأته فهي أُم جميل بنت حرب أُخت أبي سفيان تلقب بالعوراء كانت كزوجها في العداوة لرسول الله ﷺ حمالة الحطب كانت تحمل الشوك والغضا فتطرحه في طريق رسول الله ليعقره فيطأه كما يطأ أحدكم الحرير على رغم انفها وتمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطباً وهي حمالة الخطايا نظير قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ والكل محتمل من أمثالها، فقد كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لأنفقنها في عداوة محمد.

وروي عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السورة أقبلت العوراء أُم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مذمما أبينا ودينه قلينا وامره عصينا

والنبي جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك قال رسول الله إنها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال الله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني في كتابه فقال لا ورب البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول:

قريش تعلم أني بنت سيدها

وفي الأخير ماتت ميتة قبيحة وحشرت مع الظالمين الكافرين في جيدها حبل من مسد وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

أقول ومن يشابه أباه فما ظلم هذه ابنة حرب الذي لا زال حرباً لرسول الله ﷺ وأخوها أبو سفيان بن حرب الذي نصب العدى لرسول

الله ﷺ في الجاهلية والإسلام أما في الجاهلية فهو القائد الأعظم لقريش في أكثر غزوه مؤلباً على رسول الله القبائل وأما في الإسلام فإنه قد أسلم كرهاً وخوفاً ولا زال يكيد الإسلام أولاً وآخراً فقد روى عنه المؤرخون أنه جاء إلى مجلس لبني أُمية بعدما كف بصره فوقف على الباب وقال يا بني أُمية هل فيكم من يحتشم قالوا لا وكان علي عليه السلام حاضراً ولم يجسروا أن يقولوا نعم لمكانه فقال أبو سفيان يا بني أُمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار فوالله لقد ملك أخو عدي حتى هلك وملك أخو تيم حتى هلك وهلك ذكره ولم يرض ابن أبي كبشة حتى قرن اسمه باسم ربه فلا يقول قائل أشهد أن لا إله إلا الله حتى يقول أشهد أن محمداً رسول الله فقام إليه علي عليه السلام وقال اسخن الله عينك يا أبا سفيان لم يكن هو الذي وضع اسمه بل الله تعالى فعل ذلك فقال أبو سفيان يا أبا الحسن اسخن الله عين من قال لم يكن هنا أحد فانظر إليه وأمثاله كيف كان إسلامهم.

ـــ ٩٧ ـــ

النفاثات في العقد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

ذكر المفسرون أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر لرسول الله ﷺ ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فبينما هو ﷺ نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وأنه في بئر ذروان في جف طلعه تحت راعوفة حجر في أسفل البئر والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها المائح فانتبه رسول الله ﷺ وبعث علياً والزبير وعماراً فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة واخرجوا ذلك الجف فإذا فيه مشاطة رأس وأسنان من مشطه وإذا هو معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فنزلت هاتان السورتان وهما المعروفتان بالمعوذتين فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت كلها فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال وجعل جبرئيل يقول: بسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك.

ـــ ٩٨ ـــ

الوسواس الخناس

بسم الله الرحمن الرحيم﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس وإذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقيل أول ما يبدو الوسواس من الوضوء وأنه يوسوس في صدور الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه وأن له رفيقاً يوصل إلى الصدر الوسواس حتى يتحكم فيوقعه فيما يكره ويأتي لابن آدم كناصح من حيث يهوى ومن قصصه في ذلك ما نقل أنه كان في بني إسرائيل عابد لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً فنخر ابليس نخرة فاجتمع إليه جنوده فقال من لي بفلان فقال بعضهم أنا فقال من أين تأتيه قال من ناحية النساء قال لست له إنه لم يجرب النساء فقال له آخر فأنا له قال من أين تأتيه قال من ناحية الشراب واللذات قال لست له ليس هذا لهذا فقال آخر فأنا له قال من أين تأتيه قال من ناحية البر قال فانطلق فأنت له وصاحبه فانطلق إلى موضع فأقام إلى حذائه يصلي، قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر

عمله فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه العبادة فلم يجبه ثم أعاد عليه فقال عبد الله إني أذنبت ذنباً وقد تبت منه ورجعت إلى ربي فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة قال فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة قال ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية فاعطيها درهمين ونل منها قال ومن أين لي الدرهمان وما أدري ما الدرهمين فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياها فقام ودخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فارشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها فجاء إليها بالدرهمين وقال لها قومي فقامت إليه ودخلت منزلها وقالت ادخل فدخل فقالت إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فاخبرني بخبرك فأخبرها فقالت له يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كل من طلب التوبة وجدها وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك فانصرف فإنك لا ترى شيئاً فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت وإذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فإنها من أهل الجنة فارتاب الناس ومكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها فاوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه إلا موسى بن عمران صلى الله عليه أن آت فلانه فصل عليها وأمر الناس أن يصلوا عليها فأني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلاناً عن الخطيئة.

وهذا آخر ما جرى به القلم في هذه العجالة مما تيسر من قصص القرآن وإلا فهي أوسع من ذلك ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

مصادر الكتاب

القرآن المجيد

مجمع البيان عشرة مجلدات وهو مصدرنا الوحيد في النقل/ للعلامة الطبرسي.

الصافي في التفسير/ للعلامة الفيض.

آلاء الرحمٰن/ للعلامة البلاغي.

الإرشاد/ للشيخ المفيد.

حياة الحيوان/ الدميري.

لقمان الحكيم/ للمؤلف.

مغني القراء/ للمؤلف مخطوط.

الفهرس